جـامعـــة النجاح الوطنية

كليـــة الدراســـات العليـــا

مناسبة قصة إبراهيم عليه السلام للسور التي وردت فيها

إعداد

زهدية عبد الوهاب "سيد أحمد"

إشراف

د. محمد راغب الجيطان

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين (عام)، من كلية الدراسات العليا، في جامعة النجاح الوطنية، نابلس- فلسطين.

2025

مناسبة قصة إبراهيم عليه السلام للسور

التي وردت فيها

إعداد

زهدية عبد الوهاب سيد أحمد

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ 2025/7/23 م، وأجيزت:

د. محمد راغب الجيطان	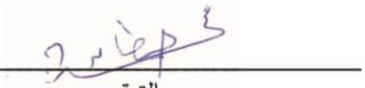 التوقيع
المشرف الرئيسي	
د. حذيفة بدير	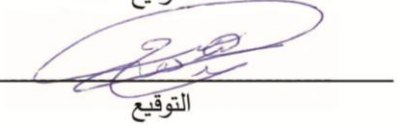 التوقيع
الممتحن الداخلي	
د. أسامة مهنا	التوقيع
الممتحن الخارجي	

الإهداء

أهدي بحثي هذا إلى من قال فيهم سبحانه وتعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾ [الإسراء: 24].

وإلى ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾ [آل عمران: 173]

﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ﴾ وإلى الذين قال فيهم سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣﴾ [الأحزاب: 23].

كما أهدي هذا البحث لزوجي، وولداي الصغيرين الذين كانوا نقطة انطلاقي في إكمال هذه الرسالة.

الباحثة: زهدية عبد الوهاب "سيد أحمد".

الشكر

قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: 7] بداية أشكر الله على أن أكملت هذه المرحلة ومن ثم أوجه الشكر لأمي بدعواتها وصلت إلى ما وصلت إليه، وأبي الذي كانت دراستي صدقة جارية له بعد وفاته رحمه الله رحمة واسعة.

ومن ثم أوجه الشكر لأستاذي الدكتور محمد الجيطان لتفضله بالإشراف على هذه الرسالة، والذي كان معي خطوة بخطوة في هذه الرسالة، وما بخل عليّ في نصحه وإرشاده، وأشكره على صبره وحلمه، كما أوجه شكري للمناقش الداخلي د. حذيفة بدير، والمناقش الخارجي د. أسامة مهنا على إثرائهما أطروحتي برأيهما، كما أوجه شكري لزوجي د. جمال الزبيدي على دعمه ومساندته في كافة المجالات، كذلك الشكر موصول لأخي إبراهيم على تشجيعه المستمر لإتمام هذه الرسالة، ولأخي سيد على تقديمه النصائح لي في هذه الرسالة، وأشكر ولداي عمر وعامر اللذين أمدّاني بالطاقة أثناء عملي في هذه الرسالة، ولا أنسى خالة زوجي سلوى سمارو التي كانت دائما بمثابة أمّ لي تشجعني بكلماتها اللطيفة وتحفني بدعواتها المتواصلة، ولا أنسى كل من كانت له كلمة طيبة كانت سبباً في إتمام هذه الرسالة.

الإقرار

أنا الموقعة أدناه مقدمة الرسالة التي تحمل عنوان:

مناسبة قصة إبراهيم عليه السلام للسور التي وردت فيها

أقر بأنّ ما اشتملت عليه هذه الرسالة هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة اليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

اسم الطالبة: **زهدية عبد الوهاب سيد أحمد**

التوقيع: زهدية "سيد أحمد"

التاريخ: **2025/7/23**

فهرس المحتويات

الإهداء..... ج

الشكر..... د

الإقرار ..... هـ

فهرس المحتويات.....و

فهرس الجداول ..... ط

الملخص..... ك

مقدمة.....1

أهمية الدراسة.....1

مشكلة الدراسة.....2

أهداف الدراسة.....2

منهج البحث 3

الدراسات السابقة 3

الفصل الأول: مدخل إلى مفاهيم الدراسة 6

المبحث الأول: مفهوم علم المناسبات:.....6

المطلب الأول: معنى علم المناسبة لغة واصطلاحاً.....6

المطلب الثاني: حجية علم المناسبات، وقواعده وأقسامه:.....8

المبحث الثاني: معالم سرد القرآن الكريم للقصص القرآني:..... 11

المطلب الثاني: منهج القرآن في سرد القصص..... 12

المبحث الثالث: التعريف بإبراهيم عليه السلام ومراحل حياته التي عرضها القرآن الكريم:..... 13

المطلب الأول: إبراهيم عليه السلام نسبه وأهم فضائله:..... 13

المطلب الثاني: مراحل حياة إبراهيم عليه السلام حسب ورودها في السياق القرآني: 16

الفصل الثاني: مناسبة المرحلة الأولى (من الرُّشد إلى اليقين) من قصة إبراهيم في السور الواردة فيها .. 18

المبحث الأول: مناسبة "مشهد الرشد من المرحلة الأولى في قصة إبراهيم عليه السلام" وسياق سورة الأنبياء 18
المطلب الأول: بين يدي سورة الأنبياء وموضوعاتها ومحورها العام 18
المطلب الثاني: علاقة مشهد الرشد بسياق سورة الأنبياء وجوها العام 20
المبحث الثاني: مناسبة مشهد اليقين من المرحلة الأولى وسياق سورة الأنعام الوارد فيها 24
المطلب الأول: بين يدي سورة الأنعام وموضوعاتها ومحورها العام 24
المطلب الثاني: مناسبة مشهد اليقين في قصة إبراهيم عليه السلام بسياق سورة الأنعام ومحورها 26
الفصل الثالث: مناسبة مشاهد المرحلة الثانية من قصة إبراهيم "مع أبيه وقومه" في السور الواردة فيها . 31
المبحث الأول: مناسبة مشاهد المرحلة الثانية من قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه في السور الواردة فيها. 32
المطلب الأول: بين يدي سورة مريم وموضوعاتها ومحورها العام 32
المطلب الثاني: مناسبة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه بسياق سورة الأنعام ومحورها العام: ... 35
المطلب الثالث: مناسبة مشهد إبراهيم عليه السلام مع أبيه وعلاقته بسياق سورة مريم ومحورها العام: .. 41
المبحث الثاني: مناسبة مشاهد المرحلة الثانية من قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه في السور الواردة فيها 47
المطلب الأول: مناسبة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه وعلاقتها في سياق سورة الأنعام ومحورها العام..... 47
المطلب الثاني: مناسبة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه وعلاقته بسياق سورة الأنبياء ومحورها العام..... 54
المطلب الثالث: مناسبة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه وعلاقتها بسياق سورة الشعراء ومحورها العام..... 59
المطلب الرابع: مناسبة مشهد إبراهيم عليه السلام مع قومه وسياق سورة العنكبوت، وموضوعاتها ومحورها العام..... 66
المطلب الخامس: مناسبة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه بسياق سورة الصافات وموضوعاتها ومحورها العام..... 74

المطلب السادس: مناسبة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه وعلاقتها بسياق سورة الزخرف ومحورها العام..... 80

الفصل الرابع: مناسبة مشاهد المرحلة الثالثة (إبراهيم عليه السلام مع أهل بيته) في السور الواردة فيها . 87

المبحث الأول: مناسبة مشاهد المرحلة الثالثة (إبراهيم عليه السلام مع أهل بيته) بسورة هود ومحورها وجوها العام 87

المطلب الأول: بين يدي سورة هود وموضوعاتها ومحورها العام..... 87

المطلب الثاني: مناسبة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع أهل بيته وعلاقتها بسياق سورة هود ومحورها وجوها العام..... 90

المطلب الأول: مناسبة "مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع ابنه اسماعيل" بسياق سورة الصافات 95

المطلب الثاني: مناسبة "مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع ابنه اسماعيل" بأجواء سورة الصافات... 100

الفصل الخامس: مناسبة مشاهد المرحلة الرابعة من قصة إبراهيم عليه السلام والبيت الحرام في السور الواردة فيها..... 102

المبحث الأول: مناسبة "مشهد قصة إبراهيم عليه السلام وبناء البيت الحرام" في السور الواردة فيها... 102

المطلب الأول: مناسبة "مشهد قصة إبراهيم عليه السلام وبناء البيت" وعلاقتها بسياق سورة البقرة ومحورها 103

المطلب الثاني: مناسبة "مشهد قصة إبراهيم عليه السلام وبناء البيت الحرام" بسياق سورة الحج ومحورها العام..... 107

المطلب الثالث: مناسبة "مشهد قصة إبراهيم عليه السلام وبناء البيت الحرام" بسياق سورة آل عمران ومحورها العام..... 113

المبحث الثاني: مناسبة "مشهد قصة إبراهيم عليه السلام والدعاء لبيت الله الحرام وللبلد وللأمة" للسور الواردة فيها..... 118

المطلب الأول: مناسبة "مشهد قصة إبراهيم عليه السلام والدعاء" وعلاقتها بسياق سورة البقرة ومحورها العام..... 118

المطلب الثاني: مناسبة "مشهد قصة إبراهيم عليه السلام ودعاء إبراهيم في البيت الحرام" وعلاقتها بسياق سورة إبراهيم ومحورها العام 121

الخاتمة 126

ثانياً: أهم التوصيات 128
المصادر والمراجع 129
Abstract ..... B

فهرس جداول

جدول1: يبين مراحل حياة إبراهيم عليه السلام في السور الواردة فيها 17

مناسبة قصة إبراهيم عليه السلام للسور التي وردت فيها

إعداد

زهدية عبد الوهاب سيد أحمد

إشراف

د. محمد راغب الجيطان

الملخص

هدفت الدراسة إلى الوقوف على مناسبة مشاهد قصة إبراهيم عليه السلام في السور الواردة فيها من حيث مناسبتها مع الآيات السابقة واللاحقة، إضافة إلى مناسبتها مع محور السور وجوها العام، وذلك وفق منهجي الاستقراء والتحليل. وقد قسمت الدراسة إلى خمسة فصول، الأول كان مدخلاً لمفاهيم الدراسة، والثاني بينت فيه مناسبة مشاهد المرحلة الأولى (من الرشد إلى اليقين في السور الواردة فيها). أمّا الثالث فتناول بيان مناسبة مشاهد المرحلة الثانية (إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه في السور الواردة فيها). ووقف الرابع على مناسبة مشاهد المرحلة الثالثة (إبراهيم مع أهله في السور الواردة فيها). أما الخامس ففيه تتبع مناسبة مشاهد المرحلة الرابعة (إبراهيم والبيت الحرام في السور الواردة فيها).

وقد خلصت الدراسة إلى نتائج من أهمها: أنّ حياة إبراهيم عليه السلام جاءت في أربع مراحل، وأنّ أساسها مرحلة الرشد إلى اليقين والتي بُنيت عليها باقي المراحل. كما خلصت إلى تناسب المراحل بمشاهدها مع السور الواردة فيها ومن ذلك: محاورة إبراهيم لأبيه وردت في سورتي الأنعام ومريم، وفي ذلك ارتباط وثيق بموضوعي السورة، فسورة الأنعام تقرر عقيدة التوحيد وإبطال عقيدة الشرك، وسورة مريم تنادي بالتوحيد وتنفي الولد والشريك وتثبت البعث، وذلك ناسب الحوار العقدي الذي دار بين الابن وأبيه. وتعدّ قصة إبراهيم عليه السلام بمراحلها مواساة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما واجهه مع قومه، ومع أبيه، إضافة إلى كونها مدرسة لإعداد الدعاة، ومن ثم العمل والاستعداد المواجهة التحديات، وما سيقدمونه من تضحيات، حتى يأتي فرج الله تعالى وإعلاء كلمته. ويمثل التوحيد بكافة أركانه المحور الذي برز في قصة إبراهيم عليه السلام وموضوع السور الواردة فيها. وأخيراً يعدّ دعاءُ الأنبياء الشعلة التي تنير درب الدعاة

والمجاهدين والعاملين لهذا الدين، وما دعاء إبراهيم عليه السلام الخالد في سورة البقرة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم وللبيت الحرام إلا النموذج الحي الذي تستمد منه الأمة دربها ووقودها.

الكلمات المفتاحية: المناسبة، إبراهيم عليه السلام، السور، التناسب.

مقدمة

الحمد لله الذي قصّ علينا القصص ما فيه من العِبر والعظات، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

تأخذ القصص مكانة عظيمة في حياة الإنسان، ويظهر ذلك جليًّا في ورودها في القرآن الكريم نحو ثلاثمائة وسبعين مرة، أي ما يقارب ثلث كتاب الله العزيز، ومن أبرز هذه القصص قصة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، التي شكّلت نموذجًا خالدًا في الصبر والثبات والدعوة إلى التوحيد، لتكون عبرة للمؤمنين ونبراسًا يهتدون به في مواجهة التحديات عبر العصور.

وقصة إبراهيم عليه السلام من القصص التي وردت في مواضع عدة في القرآن الكريم وفي سياقات مختلفة، وكان لها في كل موضع دلالات مختلفة حسب موضوع السورة وسياقها فيه؛ لذا هدفت الدراسة إلى الوقوف على دلالات مشاهد قصة إبراهيم عليه السلام في السور الواردة فيها، وذلك باستخدام المنهج التحليلي الذي يتيح فهم المعاني والدروس الحياتية التي تحملها كل سورة، ومن خلال هذا التحليل سيتم توضيح الكيفية التي يمكن أن تساعد من خلالها قصة إبراهيم عليه السلام في فهم أساسيات الإيمان والتوحيد، وتطوير شخصية المؤمن ورفع درجته في الدنيا والآخرة.

وسميت هذه الدراسة بـ: مناسبة قصة إبراهيم عليه السلام للسور التي وردت فيها.

أهمية الدراسة

تبرز أهمية هذه الدراسة من خلال الآتي:

1. لما في قصة إبراهيم عليه السلام من تحديات كبيرة واجهها أثناء الدعوة إلى الله، وبرزت في السور الواردة فيها، وهذه الدراسة ستجلي لنا ذلك بحيث تعطينا نموذجًا تستطيع من خلاله الأمة اليوم مواجهة التحديات بما واجه به إبراهيم عليه السلام.

2. كونها دراسة تطبيقية لعلم المناسبات والتي ميدانها مشاهد قصة إبراهيم عليه السلام والسور الواردة فيها، خاصة أنّها تجمع المواضع القرآنية في موضع واحد ودراستها من حيث علم المناسات.
3. لأنّ مثل هذه الدراسات تجعلنا ننهل من معين القرآن الكريم في تفسير آياته، وتدبرها، ومن ذلك الوقوف على مناسبة مشاهد قصة إبراهيم عليه السلام في السور التي وردت فيها.

مشكلة الدراسة

جاءت الدراسة للإجابة على الأسئلة الآتية:

1. ما العلاقة بين مشاهد قصة إبراهيم عليه السلام ما قبل النبوة والسور الواردة فيها؟
2. ما العلاقة بين مشاهد قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه وتبليغهم رسالة ربّه والسور الواردة فيها؟
3. ما مراحل حياة إبراهيم عليه السلام وفق ورودها في السياق القرآني؟
4. ما الفوائد المستنبطة من ارتباط مشاهد قصة إبراهيم عليه السلام والسياق الوارد فيها؟

أهداف الدراسة

تمثلت أهداف الدراسة بالآتي:

1. الوقوف على العلاقة بين مشاهد قصة إبراهيم عليه السلام ما قبل النبوة والسور الواردة فيها.
2. إبراز مراحل حياة إبراهيم عليه السلام كما وردت في السياق القرآني.
3. بيان العلاقة بين مشاهد قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه وتبليغهم رسالة ربه والسور الواردة فيها.
4. إبراز الفوائد المستنبطة من ارتباط مشاهد قصة إبراهيم عليه السلام والسياق الوارد فيها.

منهج البحث

قامت الدراسة باتباع المناهج الآتية:

1. المنهج الاستقرائي: وذلك باستقراء مشاهد قصة إبراهيم عليه السلام، في كل سورة من سور القرآن الكريم والآيات السابقة واللاحقة لكل مشهد.

2. المنهج التحليلي: وذلك بترتيب هذه المشاهد، وضم المواضيع المتعددة للمشهد الواحد للوقوف على مناسبة تلك المشاهد في السورة الواردة فيها، إضافة إلى ضم المواضيع المتعددة التي تحدثت عن المشهد الواحد، والوقوف على المعاني القرآنية من خلال علم المناسبات.

الدراسات السابقة

بعد البحث والتحري، وفي حدود اطلاعي لم أجد دراسة تناولت مناسبة ذكر قصة إبراهيم عليه السلام في السور الواردة فيها، وذلك بتتبع آيات قصة إبراهيم عليه السلام، وبيان مناسبة ورودها في السياق الواردة فيها، وما وُجد من الدراسات ذات الصلة بالموضوع عديدة منها:

1. الدراسة الأولى[1]: دراسة فاطمة محمد علي، والتي هدفت إلى التعريف بالمراحل التي مر بها البيت الحرام، وتفاصيل بناء البيت في عهد إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام، إلى الوقت الحاضر في زمن المملكة السعودية وما حدث من توسّعات ودعاء سيدنا إبراهيم كان نتاجه بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلام، وتلتقي مع الدراسة الحالية في محور تحليل قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام وبيان دلالاتها العقدية، والجديد الذي أضافته دراستي هو إبراز أثر دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام في بعثة النبي محمد ﷺ وربط هذا الأثر بتاريخ بناء البيت الحرام وتوسعاته، مما أضاف بعدًا تاريخيًا موسعًا للقصة.

[1] علي، فاطمة محمد أحمد قسم الله، **البعد العقدي في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع قومه من خلال القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، سيف النصر عبد الله الكباشي، جامعة ام درمان الإسلامية، قسم العقيدة الإسلامية 2013.

2. الدراسة الثانية[1]، دراسة نعيمة أبو زيد، وتميزت بتركيزها على القيم التربوية المستفادة من القصة وربطها بالأهداف التربوية القرآنية، وهو ما أعطاها بعدًا تطبيقيًا في التربية الإسلامية وتقويم السلوك.

وتلتقي مع الدراسة الحالية في إبراز الدور التربوي للقصة القرآنية وبيان أثرها في توجيه السلوك الإنساني، واختيار قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام محورًا للتحليل.

والجديد الذي أضافته دراستي هو تحديد القيم التربوية بشكل مباشر وتصنيفها وفق أهداف التربية المستمدة من القرآن الكريم، مع بيان انعكاسها على السلوك البشري بصورة منهجية.

3. الدراسة الثالثة[2]، دراسة فوزية الملفوح، تميزت هذه الدراسة بتركيزها على الجانب الإيماني وإبراز أصول العقيدة المستفادة من القصة، ومن أهم نتائجها: اصطفاء الله لإبراهيم بأن جعله خليلاً وهي أعلى درجات المحبة، وأنّ وجود الله راسخ في فطرة الإنسان، وأنّ مجيء الأنبياء إنّما أتى لترسيخ ما في فطرة الناس من إقرار للخالق عز وجلّ.

وتلتقي مع الدراسة الحالية في الاهتمام بجانب الإيمان والتوحيد كأحد محاور القصة، واستقراء دلالات الأحداث لفهم بعدها العقدي والتربوي. والجديد الذي أضافته دراستي هو التأكيد على أنّ الإيمان بوجود الله راسخ في الفطرة الإنسانية، وأنّ بعثة الأنبياء جاءت لترسيخ هذا الإقرار الفطري.

4. الدراسة االرابعة[3]، دراسة مشهور موسى مشاهرة، وقد بُنيت هذه الدراسة على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة؛ فسّر الباحث في المقدمة عنوان الرسالة ومنهجه فيها، وفي الفصل الأول قدم ترجمة للإمام البقاعي، وكتابه نظم الدرر، وفي الفصل الثاني بيّن قواعد منهج البقاعي في بيانه التناسب، ودرس في الأخير جملة من الظواهر السياقية في الخطاب القرآني. وتميزت هذه الدراسة بتركيزها على التناسب القرآني وفق منهج بلاغي متكامل.

---

[1] أبو زيد، نعيمة سليمان، **القيم التربوية في قصة سيدنا إبراهيم، نعيمة سليمان**، رسالة ماجستير، إشراف د. أحمد عمر عبيد الله، جامعة إفريقية العالمية، كلية التربية، 2002.

[2] الملفوح، فوزية محمود عبد الفتاح، **أصول الإيمان في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام**، رسالة ماجستير، إشراف د. جابر زايد عيد السميري، الجامعة الإسلامية، كلية أصول الدين في غزة، قسم العقيدة والمذاهب الماصرة، 2009.

[3] مشاهرة، مشهور موسى، **التناسب القرآني عند الإمام البقاعي دراسة بلاغية**، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 2001.

وتلتقي الدراسات السابقة مع دراستي بإبراز العلاقات بين النصوص القرآنية وسياقاتها وربطها بمحاور السور، وتتبع مواضع قصة إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم، وأما الجديد في دراستي فقد تمثل ببيان مناسبة مراحل قصة إبراهيم عليه السلام في السور الواردة فيها، والوقوف على دلالات ذلك، من خلال الربط بين الآيات السابقة واللاحقة في السورة، وتحليل ارتباط كل مشهد بمحور السورة الكلي، كما تسعى الدراسة إلى بسط الفوائد العقدية والتربوية المستنبطة من هذا التناسب، بما يسهم في تعميق الفهم لمعاني القصة ويكشف عن أبعادها التربوية والإيمانية في إطار وحدة موضوعية متكاملة.

الفصل الأول

مدخل إلى مفاهيم الدراسة

لا بد من الوقوف على مفاهيم الدراسة وما يتعلق بها، حتى يتسنى لنا البناء عليها عند تحقيق أهداف الدراسة، خاصة أنّها دراسة تطبيقية متعلقة بعلم المناسبات في القرآن الكريم.

المبحث الأول: مفهوم علم المناسبات

يُعتبر علم المناسبات من العلوم التي توضح العلاقات بين الآيات القرآنية وتكشف عن وجوه الارتباط بينها، وقد تطور هذا العلم بجهود علماء كُثر، منهم البقاعي (885هـ)، وفي حدود علم الباحث ومن خلال البحث يُعتبر البقاعي من الأوائل الذين خَصّوا بتأليف مستقل من خلال كتابه نظم الدرر في تناسب الآيات والسور.

المطلب الأول: معنى علم المناسبة لغة واصطلاحاً

المناسبة في اللغة تدل على المقاربة والمماثلة، أي وجود شبه أو تقارب بين أمرين، فيُقال مثلاً: بينهما مناسبة، أي بينهما صلة أو قرابة[1].

ومن المعاني المستخدمة:

1. "المُشَاكَلَةُ، يقالُ: بين الشَّيْئَين مُنَاسَبَةٌ وتَنَاسُبٌ: أَي مُشَاكَلَةٌ وتَشَاكُلٌ، وَكَذَا قَوْلهم: لَا نِسْبَةَ بينَهمَا، وَبَينهمَا نِسْبَةٌ قَريبةٌ"[2].
2. النَّسِيبُ: "الطريق المستقيم، لاتصال بعضه من بعض"[3].
3. النَّسَبُ: "القَرَابَةُ".[4] "تَقُولُ: نَسَبْتُ أَنْسُبُ. وَهُوَ نَسِيبُ فُلَان"[5].

---

[1] ابن فارس، أحمد: **معجم مقاييس اللغة**، دار الفكر، (423/5).

[2] الزبيدي، محمد: **تاج العروس**، (270/2).

[3] ابن منظور، محمد: **لسان العرب**، دار صادر بيروت، ط3/ 1414هـ، (755/1).

[4] الزبيدي: **تاج العروس**، (260/4).

[5] ابن فارس: **معجم مقاييس اللغة**، دار الفكر، 1399هـ – 1979م (423/5).

4. التناسب: التشابه.[1]

5. النَّسَّابةُ: الْبَلِيغُ الْعَالِمُ بالأَنسابِ[2].

من خلال ما سبق فإنّ معنى المشاكلة وهو كون بين الشيئين تناسب، ومعنى النسيب: والذي بمعنى اتصال الآيات بعضها ببعض، ومعنى التناسب: التشابه. وهي المعاني ذات الصلة بالدراسة، التي من خلالها تنطلق في تتبع مناسبة مشاهد قصة إبراهيم في السور الواردة فيها.

معنى المناسبة اصطلاحًا عند علماء التفسير أبو بكر النيسابوري (ت 324هـ): لم يضع تعريفًا اصطلاحيًا مدونًا، لكنه يعدّ أول من نَبَّه إلى علم المناسبة، وكان كثيرًا ما يقول في مجالسه: "لِمَ جُعِلَت هذه الآية بجانب هذه؟"، مما جعله المؤسس العملي لفكرة الربط بين الآيات والسور[3].

أما الزركشي (ت 794هـ): عرّفه بأنه العلم الذي تُعرف منه العلل في ترتيب أجزاء الكلام، أو كما عبر عنه بأنه علم يبحث في مناسبة آية معينة مع الآية التي قبله، أو مناسبة سورة معينة لما قبلها[4].

وقدّم البقاعي (ت 885هـ) تعريفًا موسعًا في كتابه نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، حيث قال: "بأنه علمٌ يُعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة؛ لأجل أنَّه يُظهر ارتباط الكلام بعضه ببعض حتى يصير كالكلمة الواحدة، علمًا بأنّ ترتيب كل كلمة في القرآن له حكمة خاصة"[5].

ويرى الزرقاني تعريف المناسبة بأنها الارتباط بين جمليتين في آية معينة، أو بين عدة آيات، أوبين السور[6].

والتعريف المختار هو ما ذهب إليه الشيخ الزرقاني، لأنه بيّن أوجه الارتباط بين الآيات وموقفها من السياق الذي وردت فيه، وهو ما يتناسب مع هدف هذه الدراسة في بيان وجه الارتباط بين مشاهد قصة إبراهيم عليه السلام والسور التي وردت فيها.

---

[1] مصطفى، إبراهيم وآخرون: **المعجم الوسيط**، (916/2).

[2] ابن منظور: **لسان العرب**، (756/1).

[3] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (ج/ 387).

[4] انظر: الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة (36/1).

[5] الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة (36/1).

[6] انظر: الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، (1/ 39).

المطلب الثاني: حجية علم المناسبات، وقواعده وأقسامه:

المسألة الأولى: حجية علم المناسبات

اختلف العلماء في حجية علم المناسبات بين معارض ومؤيد، وموسع ومضيق، وقد بحث الموضوع كثيراً؛ لذا سيختصر الحديث بإيراد آراء العلماء وبيان الراجح منها؛ لأنّ موضوع الدراسة الأساسي هو: مناسبة ورود مشاهد قصة إبراهيم عليه السلام في السور القرآنية التي وردت فيها.

أولاً: القائلون بحجية المناسبات: ذهب إلى القول بحجية علم المناسبات البقاعي[1]، كما تبين حجيتها من خلال تفاسير ومصنفات الرازي،[2] والسيوطي[3]، والزركشي[4]، ومن المعاصرين: ابن عاشور[5].

ومن أهم أدلة القائلين بحجية علم المناسبات أنّ ترتيب آيات القرآن توقيفي من عند الله، وأنّ التقديم والتأخير الحاصل في بعض المشاهد القرآنية هو من عند الله[6]، وللتوسع حول أدلتهم يمكن العودة إلى مصنفات العلماء الآنف ذكرهم.

ثانياً: القائلون بعدم حجية علم المناسبات في تفسير القرآن الكريم، وذهب إلى ذلك أبو العلاء محمد بن غانم[7]، وولي الدين الملوي[8]، والعز بن عبد السلام، والشوكاني[9].

والراجح كما قال الزركشي والسيوطي هو حجية العمل بعلم المناسبات ضمن ضوابط محددة، أهمها: أن يكون هناك ترابط معنوي بين الآيات والسور، وأن يبحث عن كونها مكملة لما قبلها، وعدم التكلف أو

---

[1] انظر: البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن: **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (18/1).

[2] انظر: الرازي، خطيب محمد بن عمر: **مفاتيح الغيب**، ط3، دار إحياء التراث العربي–بيروت، 1420، (7، 72).

[3] انظر: السيوطي، جلال الدين: **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، ط1، دار الكتب العلمية–بيروت، 1988، (1، 43).

[4] انظر: الزركشي: **البرهان في علوم القرآن**، (36/1).

[5] انظر: ابن عاشور، الطاهر: **التحرير والتنوير**، دار سحنون للنشر والتوزيع–تونس، (8/1).

[6] للتوسع انظر: **البرهان في علوم القرآن** للزركشي (38/1)، **الاتقان** للسيوطي (211/1).

[7] للتوسع انظر: السيوطي: **الاتقان في علوم القرآن**، (373/3).

[8] انظر: السيوطي: **الاتقان في علوم القرآن**، (370/3).

[9] انظر: الشوكاني: محمد بن علي: **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، ط1، دار ابن كثير–دمشق، 1414(1/ 85).

المغالاة، وأن يكون مرجعها الآيات القرآنية[1]، "وكذلك إذا عرض على العقول تلقته بالقبول، فيكون هناك دليل عقلي"[2].

وتُعدّ هذه الدراسة امتدادًا لجهود توظيف علم المناسبات في الكشف عن الروابط بين مشاهد قصة إبراهيم عليه السلام في السور التي وردت فيها، وبيان مدى اتساقها مع السياقات العامة التي نُسجت ضمنها تلك المشاهد، فهي دراسة تطبيقية تسعى إلى إظهار القيمة المنهجية لعلم المناسبات في تعميق الفهم الدلالي للآيات، واستجلاء أوجه الارتباط البنيوي والموضوعي بين أجزاء النص القرآني.

المسألة الثانية: قواعد علم المناسبات بين السور القرآنية

إنَّ علم المناسبات كغيره من العلوم، له قواعده وأصوله التي يجب أن يتّبعها كل من يدخل في هذا المجال؛ حتى لا يقع بالخطأ، وهذه القواعد باختصار:

1. معرفة الغرض الذي سيقت له السور القرآنية[3].
2. الوقوف على أسباب النزول[4].
3. أن يكون محط نظر المفسّر أن يراعي نظم الكلام الذي يكون في سياقه وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز[5].

المسألة الثالثة: أقسام علم المناسبات

قسم العلماء علم المناسبات إلى قسمين، هما:

1. المناسبات في السورة الواحدة، وأنواعها: المناسبة بين الآيات في السورة الواحدة، ومناسبة فواتح السور لخواتمها.

---

[1] انظر: الزركشي، بدر الدين: **الإتقان في علوم القرآن** (370/3).

[2] السيوطي، **البرهان في علوم القرآن** (1/ 35).

[3] انظر قول بعض المتأخرين، السيوطي: **الاتقان في علوم القرآن** (373/3)، البقاعي: نظم الدرر (6/1).

[4] للتوسع، انظر: السيوطي، **الاتقان في علوم القرآن** (4/ 228).

[5] انظر: الزركشي: **البرهان في علوم القرآن** (317/1).

ومن أمثلة ذلك ما جاء في سورة الأنعام، حيث عُرض مشهد حوار إبراهيم عليه السلام مع قومه ومحاججته لهم في التوحيد، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [الأنعام: 76].

ثم تلا ذلك ذكر عدد من الأنبياء من ذرية إبراهيم، كما في قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ .... وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ .....﴾ [الأنعام: 84–87].

وهذه الآيات تُظهر مناسبة واضحة بين الثبات على العقيدة، والجزاء الإلهي بإكرام الذرية، حيث ترتبط نهايات المقطع ببداياته موضوعيًا وزمنيًا، مما يُجسّد وحدة المعنى. وقد علّق الرازي على ذلك بقوله: "ذكر الله إبراهيم وذريته بعد بيان المحاجة، ليُظهر شرف هذه السلسلة النبوية في الدفاع عن التوحيد"[1].

2. المناسبة بين السور، وأنواعها: المناسبة بين أول السورة وخاتمة ما قبلها وما بعدها، ومناسبة مضمون كل سورة لما قبلها وما بعدها[2]، ومن الأمثلة الجليّة على ذلك الانتقال من سورة الأنعام إلى سورة الأعراف، حيث خُتمت الأنعام بقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ﴾ [الأنعام: 90]، ثم بدأت الأعراف بخطاب مباشر للنبي: {كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدرِكَ حَرَج مِّنْهُ} [الأعراف:2]، ويُعدّ هذا الانتقال دلالة على أنّ ذكر هداية الأنبياء، ومنهم إبراهيم، يمهّد نفسيًا لتلقي رسالة الدعوة بثقة، ويُوظّف النموذج النبوي كمرجعية. وقد أشار الزركشي إلى هذا النوع من المناسبات بقوله: "ربما كانت فاتحة السورة جوابًا عن خاتمة التي قبلها"[3].

---

[1] الرازي: **التفسير الكبير**، (13، 58).

[2] للتوسع انظر: مسلم: **مباحث في التفسير الموضوعي** (68–83).

[3] الزركشي: **البرهان في علوم القرآن**، (1، 327).

المبحث الثاني: معالم سرد القرآن الكريم للقصص القرآني:

امتاز القرآن الكريم بأسلوبه المعجز، الذي تنوعت فيه طرق البيان، فقد تنوعت أساليبه وطرقه وأغراضه، والقرآن الكريم له أهدافه المتعددة وغاياته الكثيرة، فيذكر للقصص مرة بالإجمال، ومرة بالتفصيل، ومرة بالتقديم والتأخير.

ونوَع القرآن الكريم في عرضه للقصص، فمرة يذكرها في سورة واحدة، ومرة يسوقها في عدة سور، ومرة يسلط الحديث عن جزء من القصة دون غيرها، وتارة يسوق الحديث على حدث واحد فقط، وقد وردت قصة إبراهيم عليه السلام في مواضع عديدة، وأعيد ذكر بعض المشاهد، بأسلوب جديد يتناسب والسياق بالسورة التي ورد فيها[1].

المطلب الأول: مفهوم السرد القصصي القرآني

سيسلط الضّوء في هذا المطلب على مفهوم السرد لغة، واصطلاحاً، والمفهوم المركب للسرد القصصي.

معنى السرد لغة: توالي أشياء كثيرة يتصل بعضها ببعض[2].

ويُستفاد من معنى كلمة "سرد" في اللغة أنه يشير إلى التتابع والتوالي، إذ يدل على وقوع الأشياء واحداً تلو الآخر، كما يقال: سرد فلان الصوم أي أدّاه بشكل متواصل دون انقطاع، وعرّف ابن منظور في لسان العرب السرد بأنه ترتيب الكلام بشكل متتابع ومنسق بحيث يرتبط آخره بأوله بصورة منسجمة[3].

فمعنى التتابع والتوالي هو المعنى اللغوي المستعمل للسرد، قال: أي يتابعه ويستعجل فيه.

معنى السرد اصطلاحاً: هو طريقة القص أو كيفية الكلام.

بعد النّظر وُجد أنّ معنى السرد: طريقة قص الكلام، أو كيفية الكلام، أو شكل الحكاية أو المضمون[4].

---

[1] انظر: بكري، شيخ أمين: **التعبير الفني في القرآن**، دار الشروق- بيروت، ط1(1973)، (218).

[2] ابن فارس: **مقاييس اللغة** (157/3).

[3] ابن منظور: **لسان العرب** (211/3).

[4] انظر: رمضان، هاني اسماعيل: **المقاصد القرآنية للسرد القصصي في القرآن الكريم دراسة تأصيلية**، كلية العلوم الإسلامية لجامعة كرسون التركية، مجلد 6، العدد1 2020م (14).

ثالثاً: معنى السرد القصصي القرآني: عرض الأحداث والوقائع بأسلوب متسلسل يخدم غرضًا تربويًا أو عقديًا، دون الالتزام بالتسلسل الزمني، بل وفق مقتضى السياق والمقام[1].

ويكون السّرد "فاصلاً لتحديد التغير في الحدث، أو للربط بين الأحداث أو لوصف حدث لا يريد القرآن تحويله إلى حوار"[2]، ويتصف السرد القصصي القرآني بالحق، ولا يمكن أن يحصل أي خطأ بعكس القصص البشري الذي من الممكن حتى لو كان صحيحاً أن يحصل منه بعض من النسيان أو الخطأ.

المطلب الثاني: منهج القرآن في سرد القصص

بما أنّ الهدف الأساسي للقصة القرآنية هو الهداية إلى الله عزّ وجل، كان لا بد وأن يكون له منهج واضح يعرض فيه القصص، حتى يتحقق الهدف في المتلقي، وسنتعرف في هذا المطلب على بعض من هذه المناهج:

1. تعدد مواضع ورود القصة القرآنية: حيث ترد القصة الواحدة في سور متعددة وتكرر لأهداف للسياق الذي وردت فيه، والتكرار يكون لبعض عناصر القصة، وليس التكرار لكل القصة، والقرآن هو كتاب للدعوة، والغرض هو أن يتم التناسق بين محور القصة التي يتم عرضها، وبين والسياق الذي تعرض فيه[3]، وقد ذكر د. فضل عباس بأنّ الباقلاني قال بأنّ التكرار في القصة القرآنية إنّما جيء به من أجل إظهار عجز العرب عن الإتيان بمثل هذا القرآن مبتدأ أو مكررًا، كذلك يورد رأي الزركشي والذي يفيد أنّ القرآن دائما يأتي بجديد كلما كرر قصة؛ لذا فإنّ فالتكرار في القصة القرآنية كانت من أجل إبراز الجوانب التي لا يمكن إبرازها على وجه واحد من وجوه النظم[4].
2. عرض القصة القرآنية بالقدر الذي يكفي لأداء الغرض، فأحياناً تعرض القصة من أولها، وأحياناً أخرى من آخرها، ومرة من وسطها[5].

---

[1] السامرائي، التعبير القرآني (143).

[2] الدقور، سليمان محمد: **القصص القرآني أهدافه وخصائصه ومنهجه**، الفضيلة للنشر والتوزيع، ط1 2007م، (145).

[3] للتوسع انظر: قطب، سيد: **التصوير الفني**، دار الشروق- القاهرة، ط17(2004) (155-156).

[4] عباس، فضل حسن: **التفسير والمفسرون**، دار النفائس للنشر والتوزيع، ط1 (1437هـ-2016) (453/3).

[5] للتوسع انظر: قطب، **التصوير الفني** (162).

3. أن تندمج التوجيهات الدينية بسياق القصة، قبلها وبعدها، ومن خلال الكلام أيضاً[1].

4. "عدم الالتزام بالسرد القصصي، ووتنوع الأساليب الفنية، وتنوع وسائل ربط المشاهد، وتنوع طريقة عرض المفاجأة"[2].

المبحث الثالث: التعريف بإبراهيم عليه السلام ومراحل حياته التي عرضها القرآن الكريم:

إبراهيم عليه السلام هو خليل الرحمن، ونبي من أنبيائه، وهو من أولي العزم من الرسل، أرسله الله إلى قومه في العراق، لعبادة الله وترك عبادة الأوثان، قال تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [العنكبوت:16-17].

كما أنّه أيضاً مؤسّس الحنيفية، أما عن تاريخ الولادة، والوفاة، فلم يحدثنا القرآن ولا السنة النبوية عنهما، ومن المؤكد أنّ معرفة ذلك لا تفيدنا بشيء؛ لذلك لم يتم ذكرها في القرآن والنسة؛ وبناء عليه سيقتصر الحديث عن ما ذكر عنه في القرآن والسنة النبوية الصحيحة.

المطلب الأول: إبراهيم عليه السلام نسبه وأهم فضائله:

يتحدث هذا المطلب عن نسب إبراهيم عليه السلام كما ورد في القرآن الكريم، والسنة الصحيحة، وبعض كتب التاريخ المعتمدة، ويتوقف عند أهم فضائله، وأبرز صفاته الخَلْقية والخُلقية؛ تمهيداً للحديث عن مراحل حياته عليه السلام في هذه الدراسة.

[1] للتوسع انظر: قطب، **التصوير الفني** (168).

[2] الدقور، **القصص القرآني**، (85).

المسألة الأولى: نسب إبراهيم عليه السلام:

هو إبراهيم بن آزر كما سماه القرآن الكريم، فأباه آزر ورد صراحة في القرآن الكريم لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٧٤﴾ ﴾ [سورة الأنعام:74].

وما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: أن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ القيامة وعلى وجه آزر قترة وغيرة فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِنِي"[1].

المسألة الثانية: من فضائل سيدنا إبراهيم عليه السلام:

1. كان أمّة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾[النحل– 120].
2. هو خليل الله، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينٗا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴿١٢٥﴾ ﴾(النساء:125)

عن عبد الله بن مسعود قال النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنَّهُ أَخِي وَصَاحِبِي، وَقَدِ اتَّخَذَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلًا»[2].

نقل الشوكاني عن ابْن العربي: "ما الذي يمتنع أَنْ يُقْسِمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِحَيَاةِ لُوطٍ وَيَبْلُغَ بِهِ مِنَ التَّشْرِيفِ مَا شَاءَ، وَكُلُّ مَا يُعْطِيهِ اللَّهُ تَعَالَى لِلُوطٍ مِنْ فَضْلٍ يُؤْتِي ضِعْفَهُ مِنْ شَرَفٍ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلّم لأنه أكرم على الله منه، أو لا تَرَاهُ سُبْحَانَهُ أَعْطَى إِبْرَاهِيمَ الْخُلَّةَ وَمُوسَى التَّكْلِيمَ"[3].

وهنا نربط فضائل إبراهيم عليه السلام مع دراستنا فنقول: إنّ الله اتخذ إبراهيم خليلاً للمواقف التي سطرها تجاه أقرب الناس إليه، والده وأهله، وقومه، ولما امتلك من مهارات عقلية في محاججة القوم والثبات الذي كان عليه، كذلك هو أول من بنى الكعبة، وأول من نادى للحج.

---

[1] البخاري، محمد بن اسماعيل: **صحيح البخاري**، دار طوق النجاة، ط1(1422هـ) كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: {وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلا} [النساء:125]، رقم الحديث:3350، (139/4).

[2] مسلم، أبو الحسين: **صحيح مسلم**، كتاب فضائل الصحابة رضوان الله عليهم، باب من فضائل أبي بكر، حديث رقم: 2383، (4/ 1855).

[3] الشوكاني: محمد بن علي، **فتح القدير**، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط1(1414هـ) (166/3).

3. هو من أولي العزم من الرسل، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧﴾ [الأحزاب:7].

وهذه الفضيلة تدلنا على ثباته عليه السلام وخبرته وإقدامه، وهذا كله بارز في مراحل حياته، فأكثر المشاهد حول الدفاع عن وحدانية الله بكل ما أوتي من قوة المنطق، وهمة الداعية.

4. أول من يُكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ۝١٠٤﴾ [الأنبياء:104]، وَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى يَوْمَ القِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ"[1].

المسألة الثالثة: صفات إبراهيم عليه السلام

نقتصر على أهم الصفات مما ورد في القرآن الكريم:

1. لقد كان قانتاً لله تعالى حنيفاً مسلماً: قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٢٠ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٢١﴾ [النحل: 120 -121] قال السعدي: "إماماً جامعاً لخصال الخير هادياً مهتدياً، قَانِتًا لِلَّهِ: أي مديماً لطاعة ربه مخلصاً له الدين، حنيفاً: مقبلاً على الله بالمحبة، والإنابة والعبودية معرضاً عمن سواه"[2].

فإبراهيم عليه السلام هو الوحيد المؤمن في زمن كان قومه كلهم من الذين كفروا وعاندوا، وكان بمثابة الأمة بكل مكوناتها، وشاكراً لأنعم الله.

2. كريم بشوش: عندما جاءت الملائكة كضيوف، كان إبراهيم عليه السلام يتمتع بالبشاشة في رد التحية والكرم بتقديم العجل.

---

[1] البخاري: محمد بن اسماعيل، **(صحيح البخاري)**، دار طوق النجاة، ط1(1422هـ)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: {وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا}، حديث رقم:9، (139/4).

وفي سنن الدارمي **في باب شأن الساعة ونزول الرب تعالى** يقول: إسناده ضعيف جدا عثمان بن عمير قال أحمد والبخاري: منكر الحديث، (1845/3).

[2] السعدي، عبد الرحمن: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، مؤسسة الرسالة–بيروت، ط1، (451).

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾﴾ [هود:69]، (وجاءت كلمة سلام مرفوعة وجملة اسمية وتدل على الاستمرارية والدوام، أما الفعلية فتدل على الحدوث)[1]، فلمّا جاءت مرفوعة وكانت سلام تدل على الاستمرارية تبين لنا كرم سيدنا إبراهيم في ردّه وفيما قدمه بعد ذلك.

3. حَليم أوَّاه منيب: قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾ [هود:75]. وقد أورد الزمخشري في تفسير الآية: "إِنَّ إِبْراهِيمَ لَحَلِيمٌ غير عجول على كل من أساء إليه أَوَّاهٌ كثير التأوّه من الذنوب مُنِيبٌ تائب راجع إلى الله بما يحب ويرضى. وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرأفة والرحمة"[2].

4. التأدب مع الله عزّوجل: وذلك بيّن في قول إبْرَاهِيم عليه السلام: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾[الشعراء: 78] "ولم يقل: وإذا أمرضني. حفظاً للأدب مع الله"[3].

المطلب الثاني: مراحل حياة إبراهيم عليه السلام حسب ورودها في السياق القرآني:

مراحل حياة إبراهيم عليه السلام

بعد استقراء جميع المواضيع التي تحدثت عن قصة سيدنا إبراهيم في القرآن الكريم، وتقسيمها من حيث الموضوع، وضمّ كل مشهد إلى ما يناسبه من الموضوع، كان عدد السور التي ذكرت الموضوعات اثني عشرة سورة، ثمانية منها مكية: (مريم، الزخرف، العنكبوت، الشعراء، الأنبياء، هود، إبراهيم، الصافات)، وأربعة مدنية: (البقرة، الممتحنة، التوبة، الحج).

---

[1] انظر: القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن**، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2 1384هـ – 1964 م.

[2] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي – بيروت، ط3(1407) هـ (412/2).

[3] ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، دار الكتاب العربي – بيروت، ط3، (1416هـ –1996م) (2/ 359).

وقد قسم العلماء حياة إبراهيم عليه السلام وفق عدة اعتبارات، وبعد الاستقراء لمشاهد قصة إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم، خلصت الباحثة إلى تقسيم حياة إبراهيم عليه السلام إلى أربع مراحل؛ المرحلة الأولى: مرحلة صناعة الرشد (من اليقين إلى الرشد) عند إبراهيم عليه السلام، والمرحلة الثانية: (إبراهيم مع أبيه وقومه)، والمرحلة الثالثة: (إبراهيم عليه السلام مع أهل بيته)، وختاماً: (إبراهيم عليه السلام وبيت الله الحرام).

جدول1

يبين مراحل حياة إبراهيم عليه السلام في السور الواردة فيها

المرحلة الأولى من الرشد إلى اليقين	المرحلة الثانية إبراهيم مع أبيه وقومه	المرحلة الثالثة إبراهيم عليه السلام مع أهل بيته	المرحلة الرابعة إبراهيم عليه السلام وبيت الله الحرام
وذلك في سورة الأنبياء في آية (51). وفي سورة الأنعام من آية (75–79).	وذلك في سورة الأنعام، وسورة مريم من آية (42–50). وسورة الأنبياء من آية (52– 73). وسرة الشعراء من آية (69–86). وسورة العنكبوت من آية (16– 27). سورة الصافات من آية (83– 113). وسورة الزخرف من (26– 30) وسورة الأنعام من (80–84).	وذلك في سورة هود من آية (69–73)، وسورة الصافات من آية (102– 107).	وذلك في سورة البقرة من آية (125–127)، وسورة الحج من آية (26–29). وسورة آل عمران من آية (96–97).

الفصل الثاني

مناسبة المرحلة الأولى (من الرُّشد إلى اليقين) من قصة إبراهيم في السور الواردة فيها

للمرحلة الأولى مشهدان، الأول: مشهد الرُّشد، وقد ذكرته سورة الأنبياء آية (51)، والثاني: مشهد اليقين، وقد ذكرته سورة الأنعام في الآيات (7–79).

حيث بدأ حديث القرآن الكريم والسنة النبوية عن إبراهيم عليه السلام بعد الدعوة، ولم يتحدث عن حياته قبل النبوة، وفي هذا الفصل سنتحدث عن المناسبات والارتباطات بين مشهدي المرحلة الأولى من حياة إبراهيم عليه السلام، من حيث ارتباطهما بالسياق والسورة التي وردت فيها.

المبحث الأول: مناسبة "مشهد الرشد من المرحلة الأولى في قصة إبراهيم عليه السلام" وسياق سورة الأنبياء

تناولت سورة الأنبياء الحديث عن مشهد الرُّشد في حياة إبراهيم عليه السلام، لذا وقبل الشروع ببيان مناسبة آيات المشهد مع السياق الواردة فيه؛ سنقدم تعريفاً موجزاً عن سورة الأنبياء، من حيث موضوع السورة، ومحورها الرئيسي.

المطلب الأول: بين يدي سورة الأنبياء وموضوعاتها ومحورها العام

ذكرت سورة الأنبياء قصة إبراهيم عليه السلام ومشهد الرشد، وقبل البدء ببيان مناسبة المشهد لا بد من تقديم نبذة تعريفية عن سورة الأنبياء، وبيان موضوعات السورة، ومحورها وجوها العام.

الفرع الأول: بين يدي سورة الأنبياء

سورة الأنبياء سورة مكية، وعدد آياتها (112)، وترتيبها في المصحف (21)[1]، وسميت بسورة الأنبياء لأنّها تحتوي على ذكر العديد من الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والتسليم، وهم ستة عشر نبياً[2]. وقد قال عنها عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "بني إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: «إنهن من العتاق الأول، وهن من تلادي»"[3].

الفرع الثاني: الموضوعات التي اشتملت عليها سورة الأنبياء

الأول: (1–24): حذرت الآيات من الغفلة عن الآخرة، وبينت تكذيب المشركين بالقرآن وبالنبي صلى الله عليه وسلم، ثم تحدّث عن جزاء الأولين لنعتبر بها، وبيَّن الأدلة على وحدانية الله وبطلان وجود إله آخر غير الله تعالى.

الثاني: (25–47): أوضح اتحاد كل الأنبياء في الدعوة إلى وحدانية الله، وتنزيه الله عن الولد، كما أوضح أنه كيف كان المشركون يستهزؤون بنبيّنا صلى الله عليه السلام، وأنّ هذه كانت من عادتهم منذ الأزل، ثم بعد ذلك تهديدهم بالعذاب، وأن وظيفة الأنبياء الإنذار، وبيان عدل المولى عزوجل.

الثالث: (48–95): سرد بعض القصص لمعظم الأنبياء ودعوة أقوامهم إلى عبادة الله تعالى، وبيان التحدّيات التي واجهتهم، وبيان نصر الله تعالى لهم.

---

[1] الداني، أبو عمر عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر: **البيان في عد آي القرآن**، مركز المخطوطات– الكويت، ط1(1414هـ–1994) (307).

[2] حسب ترتيب ذكرهم في السورة (موسى وهارون وإبراهيم، وإسحاق ويعقوب، ولوط، ونوح، ودواود وسليمان، وأيوب، وإسماعيل وإدريس وذو الكفل، ويونس، وزكريا، ويحيى، وعيسى (ولم يذكر اسمه بل نسب إلى أمه).

[3] البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر دار طوق النجاة، ط1ى، 1422هـ، (6/ 185).

ومعنى "قوله: تلادى يقول: إنهن من قديم ما أخذت من القرآن، شههن بتلاد المال".

4. الهروي، أبو عبيد القاسم بن سلام: **غريب الحديث**، تحقيق: الدكتور حسين محمد محمد شرف، أستاذ م بكلية دار العلوم، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ط1، 1404 هـ - 1984 م (5/ 338).

الرابع: (96-112): التأكيد على تحذير الكفار المعاندين من غفلتهم عن الآخرة، وذلك بذكر خروج يأجوج ومأجوج، وبيان الجزاء للمشركين يوم الحساب، والنجاة للمؤمنين، ثم بيّن صفة نبيّنا صلى الله عليه والسلام ومهمته، وتهديد من أعرض عنه[1].

الفرع الثالث: محور سورة الأنبياء وجوّها العام

أولاً: محور سورة الأنبياء هو: معالجة أمور العقيدة، وتمثلت بوحدانية الله وقدرته، والرسالة، والجزاء، وأنّ الساعة حق[2].

ثانياً: الجو العام للسورة: السورة تحمل رسالة الإنذار والبشرى وتؤكد على أنّ القرآن هو ذكر ورحمة للعالمين. كذلك إدراك الحق الأصيل في العقيدة التي جاء بها خاتم الرسل[3].

المطلب الثاني: علاقة مشهد الرشد بسياق سورة الأنبياء وجوها العام

بعد الوقوف على المحور العام لسورة الأنبياء، المتمثلة بمعالجة أمور العقيدة، يأتي بيان المناسبات من مشهد قصة إبراهيم عليه السلام في الرشد، والسياق الوارد فيه في السورة.

المسألة الأولى: آيات الرشد في مشهد إبراهيم عليه السلام في سورة الأنبياء وموضوعها

ورد مشهد الرشد وما فيه من الهدى في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الأنبياء:51].

ويقصد بالرشد بعد تتبع الكثير من كتب التفسير أنّه: الهدى والرأي الحق. وذكر ابن عاشور بأنّه أضاف الرّشد في الآية إلى ضمير إبراهيم من إضافة المصدر إلى مفعوله، أي الرشد الذي أرشده، والفائدة من الإضافة في هذه الآية أنّه أراد التّنبيه على عظم شأن هذا الرشد، أي رشدا يليق به ولأنّ رشد إبراهيم كان

[1] انظر: ماضي، محمد السيد: **زوايا وخرائط سور القرآن الكريم**، دار العلم والمعرفة، (424).
[2] انظر: البقاعي، **نظم الدر في تناسب الآيات والسور** (428/12)، (476).
[3] انظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، دار الشروق-القاهرة، ط32، (4/ 2365).

مضربا للأمثال بين العرب وغيرهم، أي هو الذي سمعته كانت بين العالمين فكيف بالرشد الذي آتاه المولى لإبرهيم عليه السلام، فكانت الإضافة لما كانت على معنى اللام مفيدة للاختصاص فكأنه انفرد به، وكذلك دلت عى أنّ إبراهيم انفرد بالهدى من بين قومه.

وذيّلت الجملة في آخر الآية بالعالمين، فقد آتاه الله تعالى الرشد العظيم، وكان عالما بأنّ إبراهيم عليه السّلام أهلاً لذلك، وهذا العلم من المولى عزوجل كان متعلّقا بنفسيّة إبراهيم العظيمة التي كانت تستحق ثناء الله تعالى، وذكرها في القرآن الكريم[1].

وكلمة الرشد هي كلمة تدل على سلامة العقيدة والتوفيق في العلم والعمل والصدق في الظاهر والباطن.

المسألة الثانية: علاقة "مشهد الرشد في قصة إبراهيم عليه السلام" وما سيق قبلها من سورة الأنبياء

موضوع الآيات السابقة هو قصة موسى وهارون عليهما السلام، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنبياء: 48-50].

وفي الآيات الكريمة بيان إعطاء الله موسى وهارون كتاباً شاملاً لأحكام ديننا الحنيف، وهو التوراة الذي فرق الله فيه بين الحق والباطل، وبين الحلال والحرام، كذلك يعتبر نوراً في ظلمات الجهل ليصلوا إلى الطريق الصحيح، كما أنّه تذكير للمتقين وععظة[2].

ومن العلاقة كذلك أنّ السياق في السورة تضمّن أنّ المشركين كانوا يستهزئون برسولنا الحبيب عليه الصلاة والسلام لأنّه بشر، وأنّهم كانوا يكذبون بالوحي، وأنّه سحر أو شعر أو افتراء، فهنا يبين لهم أنّ إرسال الرسل من البشر سنّة الله في الكون، وهذه نماذج لها من قبل، وأنّ نزول الكتب على الرسل ليس بدعة،

[1] انظر: ابن عاشور، الطاهر: **التحرير والتنوير**، دار سحنون للنشر-تونس، 1984م، (93/17). انظر: مقاتل، الطبري، الماتريدي، الطوسي، الزمخشري، ابن عطية، الفخر الرازي، سيد قطب، الشعراوي.

[2] انظر: الزحيلي، وهبة: **التفسير المنير**، دار الفكر-دمشق، ط1، 1414هـ، (17/ 70).

فالله أرسل موسى وهارون وآتاهما كتاباً، وكذلك بعد الإشارة السريعة إلى موسى وهارون وكتابهما يأتي السياق بحلقة كاملة من قصة إبراهيم، وهو جد العرب الأكبر والذي بنى الكعبة التي يحشدون فيها الأصنام، ويعكفون عليها بالعبادة، وهو الذي حطم الأصنام من قبل، وفي السياق يسنكر على المشركين شركهم ويحطم الأصنام[1].

ومن العلاقة أيضاً إقامة الحجة على المشركين بالدلائل المقنعة بالنسبة للعقل، ثم بالدلائل التي يشهد لها التاريخ وأحوال الأمم السابقة، فما أوتيه نبيّنا عليه الصلاة والسلام هو نفسه ما حصل لسلفه من الأنبياء والرسل، وأنه ما كان بدعاً من الرسل في دعوته إلى التوحيد تلك الدعوة التي كذبه المشركون لأجلها مع ما تخلل ذلك من ذكر عناد الأقوام، وثبات الأقدام، والتأييد من المولى عزوجل، وأعقبت قصة موسى وهارون بقصة إبراهيم فيما أوحي إليه من مقاومة الشرك ووضوح الحجة على بطلانه، لأنّ إبراهيم كان هو المثل الأول في مقاومة الشرك قبل مجيء الإسلام، فقاومه بالحجة، وإظهار التوحيد، فأقام له هيكلاً وهو الكعبة[2].

المسألة الثالثة: علاقة "مشهد قصة إبراهيم عليه السلام" وما سيق بعدها من سورة الأنبياء

بعد سرد مشهد الرشد في قصة إبراهيم عليه السلام عقب القرآن، بقوله تعالى: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنبياء: 74-75].

جاء الحديث عن قصة لوط عليه السلام بعد قصة إبراهيم عليه السلام لأنّ بينهما ارتباطًا في الموقف والدعوة، فلوط عليه السلام كان من أتباع إبراهيم عليه السلام كذلك كان على نفس نهجه في مقاومة الكفر والفساد الأخلاقي، وقد خُصّ لوط بالذكر دون غيره من الأنبياء لأنَّ دعوته كانت امتدادًا لدعوة إبراهيم في

[1] انظر: قطب، **في ظلال القرآن** (4/ 2384).

[2] انظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير** (17/ 87).

بيئته، ولم يُفصَّل في القرآن الحديث عن شرك قومه، لأنّ ما اشتهروا به من الفاحشة المنكرة كان كافيًا للدلالة على انحرافهم عن التوحيد، فتلك الفواحش ثمرة من ثمار الشرك وفساد العقيدة[1].

المسألة الرابعة: علاقة مشهد إبراهيم عليه السلام مع المحور العام:

1. محور سورة الأنبياء ركز على موضوع الرسالة وعقيدة التوحيد، والربوبية، وجاء مشهد الرشد في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام، وقوله: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ٥٢﴾[الأنبياء:52] فكانت قولته هذه دليل رشده[2]، وفي ذلك إثبات لتقرير عقيدة التوحيد والرسالة التي بعث لها، وتقرير الربوبية[3].

وكذلك من العلاقة بينهما أنّ إبراهيم عليه السلام سلّم وفوض أمره لله سبحانه، وصبر على الابتلاء وهو من مقصود السورة[4].

وإبراهيم عليه السلام يمثل كذلك نموذجاً في السورة لمحاججة المشركين، فالله عزّ وجل آتاه الرشد ليكشف فساد عبادة الأصنام ويدعو إلى توحيد الله، وهذا ينسجم مع المحور العام الذي يركز على دعوة الأنبياء جميعا إلى التوحيد ومواجهة أهل الباطل. كذلك فإنّ ذكر إبراهيم عليه السلام في السورة يبين دوره كواحد من الأنبياء الذين هُدوا إلى الحق، وثبتوا في دعوتهم رغم المعارضة. كما أنّ علم الله بصدق إبراهيم عليه السلام وهو ما يتناسب مع موضوع السورة الذي يؤكد أنّ الله يعلم حال عباده، ويختار الرسل لحمل رسالاته، وترتبط قصة إبراهيم عليه السلام محور السورة في إظهار قدرة الله عزّ وجل وألوهيته من خلال دعوة الأنبياء إلى التفكر وترك عبادة الأوثان، بالتالي ترتبط القصة بالمحور من خلال التأكيد على أنّ التوحيد جوهر دعوة إبراهيم عليه السلام، وإبراز إبراهيم كمثال للهدى واليقين في مواجهة الشرك، وأنّ هذا كله من عند الله، وهو الذي يعلم من يصلح لحمل رسالته.

---

[1] انظر: ابن عاشور: **التحرير والتنوير** (17/ 112).

[2] انظر: قطب: **في ظلال القرآن** (4/2385).

[3] قطب: **في ظلال القرآن** (4/ 2396).

[4] انظر: الغرناطي، **البرهان فى تناسب سور القرآن** (255).

المبحث الثاني: مناسبة مشهد اليقين من المرحلة الأولى وسياق سورة الأنعام الوارد فيها

المطلب الأول: بين يدي سورة الأنعام وموضوعاتها ومحورها العام

قبل البدء ببيان مناسبة مشهد اليقين في قصة إبراهيم عليه السلام لا بد من تقديم نبذة عن سورة الأنعام، والوقوف على أهم الموضوعات، وبيان محور السورة والجو العام للسورة.

الفرع الأول: بين يدي سورة الأنعام:

سورة الأنعام مكية[1]، وسميت بهذا الاسم لما ورد فيها من تفصيل أحوالها[2]، وترتيبها في المصحف السادسة، وعدد آياتها: 165 آية[3]، وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في بيان فضائلها: "الأنعام من نجائب القرآن"[4].

الفرع الثاني: الموضوعات التي اشتملت عليها سورة الأنعام:

أولاً: الآيات (1–18): عرض أدلة وحدانية الله وقدرته، وإعراض المشركين وتكذيبهم، ومن ثم تهديدهم بما حدث للأمم السابقة، واستحقاقه تعالى بالعبادة.

ثانياً: الآيات (19–32): عرض أدلة صدق نبيّنا عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم، ومعرفة أهل الكتاب بذلك، وتكذيبهم له، ثم بيان حسرتهم يوم القيامة.

ثالثاً: الآيات (33–47): تسلية نبيّنا محمد عليه الصلاة والسلام لما يلاقيه من المشركين، وتعنتهم في طلب المعجزات، وموقفهم من السراء والضراء.

---

[1] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن** (199/1). السيوطي، **الاتقان في علوم القرآن** (57/1).

[2] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن** (270/1).

[3] السيوطي: **الإتقان في علوم القرآن** (1/ 235).

[4] ابن الفرس، أبو محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم، (ت: 597 هـ)، **أحكام القرآن**، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط1، (1427 هـ – 2006 م) (3/ 8).

رابعاً: الآيات (48–73): بيان مهمة النبي محمد عليه الصلاة والسلام، ومن قبله من الرسل، وبيان كمال علمه وقدرته تعالى، ومظاهر عظمته، ثم النهي عن مجالسة المستهزئين، والرد على المشركين.

خامساً: الآيات (74–94): محاورة إبراهيم لأبيه وقومه، وإقامة الحجة عليه، ثم ذكر 18 رسولاً، وأمره صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بهم، ثم الرد على منكري الرسالات وعقابهم.

سادساً: الآيات (95–117): العودة إلى ذكر أدلة قدرة الله ووحدانيته، وتسفيه عقائد المشركين مع النهي عن سب آلهتهم، والتأكيد على تعنتهم في طلب المعجزات.

سابعاً: الآيات (118–135): الرد على سفاهات المشركين في شأن الذبائح، وأعطى مثالاً للفرق بين المؤمنين والكافرين، وبيان المكر الذي يكون من الكافرين، وأن الهداية والضلال بيد الله، ثم بيّن المشهد العظيم الذي يكون يوم القيامة.

ثامناً: الآيات (136–144): الرد على سفاهات المشركين في شأن الزروع والأنعام، ووأد البنات، ثم التذكير بنعم الله.

تاسعاً: الآيات (145–150): بيان ما حرمه الله تعالى على نبيّنا عليه الصلاة والسلام، مروراً بما حرمه على أهل الكتاب، وتفنيد موقف الكفار الذين كذبوا ذلك.

عاشراً: الآيات (151–165): اختتمت السورة بالوصايا العشر[1].

[1] انظر: ماضي، محمد السيد، **زوايا وخرائط سور القرآن الكريم**، دار العلم والمعرفة، (1442هـ/2021م) مكتبة التقوى (1/ 153–154).

الفرع الثالث: محور سورة الأنعام وجوّها العام

أولاً: محور سورة الأنعام هو: التوحيد، والألوهية، ومجادلة المشركين بالله المكذبين للرسول محمد عليه الصلاة والسلام[1].

وهذا بارز في جوهر قصة إبراهيم الوارد فيها عند محاججة قومه، ودعوتهم إلى الإيمان والتوحيد، ونهيه لهم عن الشرك.

ثانياً: الجو العام لسورة الأنعام هو: إقامة الحجة على المشركين، ومعالجة الظلم والأخلاق الفاسدة التي كانت متفشية في المجتمع بكلمة لا إله إلا الله، وتأصيل العقيدة الإسلامية في نفوس الناس[2].

المطلب الثاني: مناسبة مشهد اليقين في قصة إبراهيم عليه السلام بسياق سورة الأنعام ومحورها

سبق أن ذكرنا أنّ سورة الأنعام ركزت على: إقامة الدلائل على وحدانية الله تعالى، وأنّها تبطل كل ما يعبد من دونه، وتصحيح قضية الألوهية والعبودية من خلال تعريف العباد برب العباد[3].

المسألة الأولى: آيات مشهد اليقين في قصة إبراهيم عليه السلام

جاءت آية مشهد اليقين بعد اطلاع الله تعالى إبراهيم عليه السلام السماوات والأرض، ومتمثلة في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥﴾ [الأنعام: 75].

ويذكر السعدي في تفسير الآية: "يقول الله حين وفَّقنا إبراهيم للتوحيد والدعوة إليه، ليري ببصيرته الأدلة القاطعة، فإنه بحسب الأدلة يحصل له الإيقان والعلم التام بجميع المطالب"[4].

كما يشير محمد رشيد رضا في بيان مدلول الآية إلى أنّ الله تعالى جعل إبراهيم يرى القول الفصل في أمر أبيه وقومه، فهم كانوا على ضلال، فكان الله يريه ملكوت السماوات والأرض مرة بعد مرة على الطريقة

---

[1] انظر: السعدي، عبد الرحمن، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف–السعودية، ط1، (215).

[2] انظر: قطب، **في ظلال القرآن** (1013/2).

[3] انظر: قطب: **في ظلال القرآن** (2/ 1017).

[4] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن** (262).

التي يعرف بها الحق، فهي رؤية بصرية وعقلية، وإنّما قال: "نريه" دون أريناه؛ حتى يستحضر صورة الحال الماضية التي كانت تتجدد وتتكرر بتجدد رؤية آيات المولى في ذلك الملكوت العظيم كما يعلم من التعليل الآتي، والتفصيل المترتب على هذا الإجمال في الآيات، والملكوت: المملكة أو الملك العظيم والعز والسلطان[1].

والمقصود من جعل إبراهيم عليه السلام من الموقنين أي: الراسخين في وصف الإيقان في أمر التوحيد كله بالنسبة إلى جميع الجزئيات لما أريناه ببصره وبصيرته، فتأمل فيه حتى وقع فيه بعد علم اليقين على عين اليقين بل حق اليقين[2].

وبذلك يجب أن نكون على علم بأنّ لليقين ثلاث مراتب، وهي: علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين، أمّا علم اليقين مجرد المعرفة بالشي، وعين اليقين، رؤية الشيء، وحق اليقين ملامسة الشيء[3].

المسألة الثانية: علاقة "مشهد اليقين في قصة إبراهيم عليه السلام" مع ما سيق بعده من سورة الأنعام

موضوع الآيات التي جاءت بعد آية مشهد اليقين هو: إبطال إبراهيم عليه السلام دعوى قومه عبادة الأصنام، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: 76-79].

والآيات الكريمة تبيّن بكل وضوح تنقّل خطاب إبراهيم بقومه من الكواكب والشمس والقمر على اعتبار أنّها آلهة، ثم نقضها عروة عروة، فلمّا أظلم الليل على إبراهيم وقد كان تحت السماء ولم يكن في بيت، ورأى

---

[1] انظر: رضا، محمد رشيد، **تفسير المنار**، دار القبلة للثقافة الإسلامية-جدة، (7/ 462).

[2] انظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** (7/157-158).

[3] انظر: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد، **تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن**، ط1، السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف (1/ 325).

الكواكب من دون قصد للتأمل، فظاهر الآيات أنّه رأى كوكباً من بين الكواكب الكثيرة شديد الضوء، فقال هذا ربي، وإبراهيم على علم بأنّه ليس الله، لكن جاءت الجملة جواباً لمن يسأل، فهنا إجابة إبراهيم عليه السلام كانت استنكاراً، وعندما تحدث كذلك عن غياب النجوم، فالذي يأتي ويختفي لا يمكن أن يكون إلهاً لأنّه لا يمكن أن يعطي العباد ما يحتاجونه عندما يختفي، والآية التي تليها كذلك إلى أن وصل إلى الآيات لتقنعهم بأن لا يحاولوا أن يجعلوه موافقا لهم على كفرهم؛ فلما انتفت الألوهية عن أعظم الكواكب انتفت عما دونها[1]، ومن ثم توجه لله تعالى الذي أبدع في خلق السماوات والأرض، وتبرأ من عبادة غير الله[2].

واختتم مشهد قصة إبراهيم عليه السلام إلى رؤية الله سبحانه في ضميره وعقله وفي كل شيء حوله، فعقب القرآن الكريم ببيان مجيء قومه ليجادلوه فيما ذهب إليه من يقين، وفيما انشرح له صدره من توحيد وليخوفوه آلهتهم التي تنكر لها أن تنزل به سوءاً، وإبراهيم عليه السلام يواجههم بكل يقين لله الذي هداه إلى الحق[3].

كما أنّ إبراهيم عليه السلام ناظر قومه، وبيّن لهم بطلان عبادة الأصنام، والخطأ الذي كانوا عليه في عبادتها، وبيَّن كذلك الخطأ والضلال الذي كانوا عليه من عبادة الهياكل[4].

وكذلك من أوجه المناسبة أنّ يقينه الذي صنع بما أراه الله من ملكوت السماوات والأرض، استثمره في حال لما كان أبوه وقومه يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب، أراد أن يرشدهم إلى التوحيد من طريق النظر والاستدلال[5]. إضافة إلى أنّه انتقل بعد ذلك من الاهتداء إلى وجه الحجة والاستدلال[6]، فذكر القمر والشمس والنجم كمثال ليريه هذا الملكوت؛ لأنّه ثبت أنّ ذلك الدليل كان عامّاً[7].

---

[1] انظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير** (325/7).

[2] انظر: الصوفي، أبو العباس: **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، (2/ 136).

[3] انظر: قطب، **في ظلال القرآن** (2/ 1141).

[4] انظر: ابن كثير، أبو الفداء: **تفسير القرآن العظيم**، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، (3/ 292).

[5] انظر: الصوفي، أبو العباس، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد** (2/ 136).

[6] انظر: رضا، **تفسير المنار** (7/ 463).

[7] انظر: الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير** (13/ 36).

المسألة الثالثة: علاقة مشهد اليقين في قصة إبراهيم عليه السلام وما قبلها من سورة الأنعام

ذكرت الآيات التي سبقت مشهد اليقين إبطال إبراهيم عبادة الأصنام من قبل أبيه وقومه، وذلك في قوله تعالى: ﴿۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٧٤﴾[الأنعام:74].

وهنا تتحدّث الآيات عن إبراهيم عليه السلام، وكيف نصح أباه أن يبتعد عن عبادة الأصنام، وكيف خاطب أباه بأنّهم في حيرة وجهل وأمرهم واضح لكل عاقل[1]، ومن ثم عبر عن ذلك بأنّه ضلال، وذلك ليس فيه سبّ كما زعم المستشرقون، ومقابل ذلك كيف أمر الله عزوجل موسى وهارون أن يقولا لفرعون قولاً حسنا لا غلظة فيه، وجواب ذلك أنّ عتاب إبراهيم لأبيه كان لحسن المصلحة، مَثَلُ ذلك الشدة في تربية الأولاد[2].

والرؤية في الآية الكريمة تحتمل أن تكون بمعنى الإبصار؛ وذلك أنّ إبراهيم عليه السلام قصد منها أنّ أباه وقومه بلغوا من الضلال مبلغاً عظيماً حتى أصبح كالشيء المشاهد؛ وفي ذلك كل الوضوح من الضلال وكيف يتقربون للأصنام وهي حجارة[3].

ووجه المناسبة بين آية اليقين بما قبلها: أنّها سنة الحياة النزاع بين الحق والباطل، والعقيدة التي يدافع عنها المؤمن ولا يخاف من أي شيء، ولا يجامل على حسابها سواء كان أباً أو حتى قومه، كما وقف إبراهيم في وجه أبيه وقومه، والقصة هنا تُعرَض لتكون أسوة ومثالاً، والعقيدة فوق روابط الأبوة والبنوة، وفوق مشاعر الحلم والسماحة، فاستحق إبراهيم عليه السلام بصفاء فطرته وهدايته للحق أن يكشف الله لبصيرته عن الأسرار الكامنة في الكون، والدلائل الموحية بالهدى في الوجود، فجاءت الآية ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ٧٥﴾ [الأنعام: 75] ومعنى ذلك أنّ الله يري إبراهيم حقيقة هذا الملك بالفطرة السليمة من القوة في إنكار الباطل[4].

---

[1] انظر: ابن كثير، **تفسيرالقرآن العظيم** (3/ 289).

[2] انظر: رضا، **تفسير المنار** (7/ 461).

[3] انظر: ابن عاشور: **التحرير والتنوير** (7/ 314)

[4] انظر: قطب: **في ظلال القرآن** (2/ 1139).

وكذلك من أوجه المناسبة أنّه كما أرينا إبراهيم ضلال أبيه وقومه في عبادتهم الأصنام، أريناه مرة بعد أخرى ملكوت السماوات والأرض، أي خلقهما بما فيهما من بديع النظام وغريب الخلق والصنع، فاطّلع على أسرار الكون وما يخفى في الأرض والسَّماء، ليستدل بذلك على وحدانية الله عزوجل وعظيم قدرته الواسعة[1].

المسألة الرابعة: علاقة "مشهد اليقين في قصة إبراهيم عليه السلام" مع المحور العام لسورة الأنعام

ذكرنا سابقاً أنّ محور سورة الأنعام هو العقيدة والتوحيد، وقدرة الله، وعظمته، ودحض الشرك من خلال الأدلة والحجج؛ فالمناسبة تبدو في أنّ سورة الأنعام تدعو إلى التوحيد، وإبراهيم عليه السلام يظهر كنموذج للإنسان الذي ينتقل من التفكر في الآيات الكونية إلى تحقيق اليقين الكامل بالله، وهو ما يدحض الشكوك والشرك، وكذلك إبراهيم عليه السلام يمثل القدوة في البحث عن الحقيقة والتدرج للوصول إلى اليقين التام فالسورة تؤكد على أهمية اليقين كأساس للإيمان الحقيقي[2].

[1] انظر: الزحيلي، **التفسير المنير** (7/ 262).

[2] انظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** (290/3).

الفصل الثالث

مناسبة مشاهد المرحلة الثانية من قصة إبراهيم "مع أبيه وقومه" في السور الواردة فيها

جاء ذكر مشاهد المرحلة الثانية من قصة إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم في ثماني سور، هي: الأنعام، ومريم، والأنبياء، والشعراء، والعنكبوت، الصافات، والزخرف.

وبدأت هذه المرحلة بقصة إبراهيم مع أبيه، ومن ثم قصة إبراهيم مع قومه، وفي سورة مريم ذُكر حاله مع قومه بشكل سريع غير مفصل[1] أما مع أبيه فذكر مفصلاً[2].

واتفقت هذه السور في بيان بعض مشاهد هذه المرحلة، وافترقت في بيان بعضها الآخر؛ فقد ذكرت الباحثة بعض المشاهد بطريقة متباينة، تتناسب مع سياق السورة الواردة فيها ومحورها وجوها العام.

ولأنّ مشاهد المرحلة متداخلة ومتشابهة في أغلبها، قسمت الباحثة هذا الفصل إلى مبحثين:

المبحث الأول: مناسبة مشاهد المرحلة الثانية من قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه في السور الواردة فيها.

المبحث الثاني: مناسبة مشاهد المرحلة الثانية من قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه في السور الواردة فيها.

[1] {فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله}.

[2] انظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت: 911هـ)، **أسرار ترتيب القرآن**، دار الفضيلة للنشر والتوزيع (109).

المبحث الأول: مناسبة مشاهد المرحلة الثانية من قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه في السور الواردة فيها.

ورد مشهدا قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه في سورتين: الأنعام ومريم، وذكرتا جدال إبراهيم لأبيه حول عبادة الأصنام، وهذا في سورة الأنعام بشكل واضح، ودعوة إبراهيم إلى عبادة الله وحده ونبذ الشرك، فقابله والده بالعناد كما في سورة مريم.

وقد بيّن ابن كثير سبب اختصاص إبراهيم عليه السلام لأبيه في النّصيحة، حيث يقول: لأنّ والد إبراهيم أول من تصدى لدعوة التوحيد، وأول دعوته لأبيه، وأنَّ أباه ممن يعبد الأصنام، فكان أحقّ الناس بإخلاص النصيحة[1].

وقبل الشروع في بيان أوجه المناسبة بين مشاهد هذه المرحلة، وجب التعريف بسورة مريم، والوقوف على موضوعاتها وجوها العام.

وقد ذكرنا في الفصل الثاني التعريف بسورة الأنعام، وسنكتفي في هذا المبحث التعريف بسورة مريم، ثم نبيّن العلاقة بين آيات مشاهد هذه المرحلة وسورة مريم.

المطلب الأول: بين يدي سورة مريم وموضوعاتها ومحورها العام

ذكرت سورة مريم قصة سيدنا إبراهيم مع أبيه، وينبغي تقديم نبذة عن سورة مريم، والوقوف على أهم موضوعاتها، وبيان محور السورة وجوها العام.

[1] انظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري (ت: 774هـ)، **قصص الأنبياء**، (دار التأليف- القاهرة)، ط1 (1388 هـ - 1968 م) (1/ 170).

الفرع الأول: بين يدي سورة مريم

سورة مريم مكية[1]، وهي تسعة و تسعون آية في المدني الأخير والمكي وثمان في عدد الباقين، وهي السورة الرابعة والأربعون في ترتيب النزول[2]، وسبب التسمية أنّ قصة مريم وابنها وأهلها فصّلت فيها قبل أن تفصل في أي سورة أخرى[3]، ولم تذكر امرأة باسمها بشكل صريح إلا مريم فذكرت في ثلاثين موضعاً[4]، وقد اختُلِفَ في العدد ذكرها إما بمفردها أو مرتبطة مع ابنها عيسى عليه السلام، وذكرت بمفردها إحدى عشرة مرة، وثلاث عشرة مرة مرتبطة بابنها عيسى عليه السلام، وأشارت بعض المصادر أنّ اسم مريم في القرآن الكريم ورد أربعاً وثلاثين مرة عند الجمع بين ذكرها بمفردها وذكرها مع ابنها عيسى عليه السلام.

والشائع هو ذكرها 24 مرة بمفردها ومع ابنها، وسبب الخلاف في ذلك يرجع إلى الاختلاف في طرق الحساب أو التفسير، فبعض الآيات تشير إلى مريم بشكل غير مباشر، أو تربط بينها وبين أحداث أو معجزات تتعلق بها.

الفرع الثاني: الموضوعات التي اشتملت عليها سورة مريم

اشتملت سورة مريم على ثمانية موضوعات، هي:

أولاً: الآيات (1–15): قصة زكريا، ودعاؤه من الله أن يرزقه الولد، وبشارته بيحيى، والرحمة التي هي مدار هذه الآيات.

ثانياً: الآيات (16–40): قصة مريم وحملها بعيسى، وهي فتاة عذراء، وما جرى لها مع روح القدس وقومها.

---

[1] انظر: النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد: **معاني القرآن، جامعة أم القرى – مكة المكرمة**، ط1 1409، (4/ 307)، انظر: السيوطي، أبو بكر عبد الرحمن جلال الدين: **الاتقان في علوم القرآن**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: 1394هـ/ 1974 م (83/1).

[2] انظر: الداني، أبو عمر عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر: **البيان في عد آي القرآن**، مركز المخطوطات– الكويت، ط (1 1414هـ– 1994) (181).

[3] انظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير** (16/ 58).

[4] انظر: البخاري، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني القِنَّوجي (ت: 1307هـ): **فتح البيان في مقاصد القرآن**، المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنَّشْر، صَيدَا – بَيروت، (1412 هـ – 1992 م) (8/ 131).

ثالثاً: الآيات (41–50): قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه، ومحاجّته ومناقشته لأبيه في عبادة الأصنام وجدال إبراهيم عليه السلام لأبيه المبنيّ على الفطرة السليمة.

رابعاً: الآيات (51 –53): قصة موسى وهارون.

خامساً: الآيات (58–65): قصة إدريس وإسماعيل، ثم أحوال الأنبياء والأمم بعدَهم وصفاتِهم.

سادساً: الآيات (76–98): بيان جزاء المهتدين، والرد على افتراءات المشركين، مثل: شبهة المشركين في إنكار البعث، ومقالة المشركين في البعث والحشر استهزاءً وطعناً، والرد على من ادعى أن لله ولد.

الفرع الثالث: محور سورة مريم وجوها العام:

أولاً: محور سورة مريم: من خلال النظر في موضوعات السورة، وُجِد أنّها تحدثت عن قدرة الله ووحدانيته، كما عبّر عن محور السورة علماءُ التفسير بعباراتٍ مختلفة؛ كإثبات وجود الله ووحدانيته ونفي الولد والشريك، وإثبات البعث والجزاء من خلال ذكر القصص لبعض الأنبياء[1].

ومن خلال النظر في موضوعات سورة مريم فإنه يمكن القول أنّ المحور العام للسورة هو إثبات وجود الله ووحدانيته، وإثبات البعث والجزاء.

ثانياً: الجو العام لسورة مريم: الجو الذي نزلت فيه سورة مريم، هو جو مليء بالرحمة، فقد جاء ذكرت الرحمة فيها 17 مرة، فرحمة الله بزكريا لما رزقه يحيى ورحمة الله بمريم لما برأها عيسى عليه السلام، وجاء في مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه بأجواء سادت فيها الرحمة واللطف، فشخصية إبراهيم كانت تتصف بالرضى والحلم، ويبدو ذلك واضحاً في تعبيرات القرآن الكريم، وفي تصرفاته ومواجهته لجهالة أبيه، وتجلت رحمة الله لإبراهيم عليه السلام بأن عوضه الله بذرية تعوضه عن أبيه وعن المشركين[2].

[1] انظر: قطب، **في ظلال القرآن** (4/ 2299).

[2] انظر: المرجع السابق (4/ 2311).

المطلب الثاني: مناسبة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه بسياق سورة الأنعام ومحورها العام:

يهدف هذا المطلب الوقوف على مناسبة مشهد إبراهيم عليه السلام مع أبيه الوارد في سورة الأنعام وسياق الآيات ومحورها وجوها العام.

الفرع الأول: علاقة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه بسياق سورة الأنعام:

عرّفنا سابقاً بسورة الأنعام، وأنّ محورها الرئيس هو التوحيد، والبعث، والحساب، أي بناء العقيدة عن طريق التعريف بالألوهية والعبودية، ويتناول هذا الجزء من الدراسة علاقة مشهد إبراهيم مع أبيه والمحور العام.

المسألة الأولى: آيات مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه في سورة الأنعام

موضوع آيات المشهد هو جدال إبراهيم لأبيه آزر حول عبادة الأصنام، وهو متمثل في قوله تعالى: ﴿۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٧٤ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٧٩﴾ [الأنعام: 74-79].

وسبب مجادلة إبراهيم عليه السلام لأبيه هو طلبه من إبراهيم أن يعبد الأصنام، فقد كان أبوه وقومه يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب، فأراد أن يرشدهم ويوضّح لهم الخطأ الذي هم فيه عن طريق النظر والتفكر، ويعرّفهم بأنّه بذلك يجب أن يصلوا إلى أن عبادتهم لا تصح بأي شكل من الأشكال، وقوله: "هذا

رَبِّي" قول من ينصف خصمه مع علمه بأنه مُبْطَل، فيحكى قوله كما هو غير متعصب لمذهبه؛ لأنّ ذلك أصلح للحق[1].

وفي هذا المشهد نرى كيف أنّ العقيدة فوق روابط الأبوة والبنوة، وفي ذلك قال سيد قطب: أن هنا مشهد الفطرة وهي تُنْكِرُ كل ما تتصوّره الجاهلية في الأصنام وتستنكرها، وهي تنطلق بعد أن نفضت عن نفسها هذه الخرافة؛ لتبحث عن الإله الحق، الذي تجده في ضميرها، ولكنها لا تتدركه في وعيها وإدراكها، وهو مشهد رائع عندما يتجلى في قلب إبراهيم عليه السلام، والسياق يعرض التجربة الكبرى التي اجتازها في هذه الآيات القصيرة، فهي سنة الحياة في الصراع بين الحق والباطل، وقصة العقيدة التي يدافع بها المؤمن ولا يخشى فيها أي أحد سواء كان أباً أو غير ذلك، كما أنّه الضلال الواضح الذي يكون من فطرة إبراهيم عليه السلام من النظرة الأولى، فهذا نموذج كامل للفطرة التي فطر الله الناس عليها، كما أنّه نموذج للفطرة وهي تنكر الضلال وتواجهه[2].

وبالتالي برز في هذا المشهد قضايا أهمها: محاججة إبراهيم لأبيه آزر حول شركه بالله تعالى وعبادته للأصنام، وأنّ العقيدة فوق رابطة الأبوة والبنوّة، ثم إنّ موقف إبراهيم في المجادلة لأبيه ثم لقومه كان على فَرَضَ أنّه غير مؤمن، لكنّ إبراهيم كان مؤمناً وموقناً والله عزّ وجل آتاه الرشد والهدى، والقوة في المجادلة والمحاججة.

المسألة الثانية: علاقة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه مع ما سبقه من الآيات في سورة الأنعام

سبق مشهدَ إبراهيم عليه السلام مع أبيه في سورة الأنعام إقرارٌ بأنّ الله هو الخالق المالك وأنّ أمره كن فيكون، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ {الأنعام:73}.

[1] انظر: الزمخشري، جار الله: **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي–بيروت، ط3، (2/ 40).

[2] انظر: قطب، **في ظلال القرآن** (2/ 1138).

فالمقصود الاستدلال بالقصر على أنّه هو المستحق للعبادة، فالله تعالى أخرج السماوات والأرض وما فيهن من اللاشيء إلى شيء، وذلك لكثير من الحكم، ووضع في جميع المخلوقات خصائص عدة، وهو هنا يمهد حتى يثبت الجزاء، فلو أُهملت أعمال المكلفين لكان ذلك نقصانًا من الحق الذي خلقت السماوات والأرض ملابسة له، فعقب بعد ذلك بأنَّه أنشأ خلق السماوات والأرض بالحق، وأنه يعيد الخلق الذي بدأه، فلا يخلو شيء من تكوينه الأول ولا من تكوينه الثاني عن الحق، ومن ثم كانت صفة الحكيم لأنّها تجمع الإتقان في الصنع، فدلّت على عظيم قدرة الله تعالى مع تعلق العلم بالمصنوعات، أما صفة الخبير، فلأنّها تجمع العلم بالمعلومات سواء ما كان ظاهراً أو مخفياً[1].

بالتالي تكون المناسبة بين المشهد الرئيسي وما يسبقه هو إقرار بالخالق جل في علاه، وأنّه صاحب الملك. وجاء بعدها الحديث عن مجادلة إبراهيم لأبيه آزر، كنصّ تطبيقي من نبي الله إبراهيم مع أقرب الناس إليه (أبوه آزر)، وتكون دالة على ذكر الله تعالى لقصة إبراهيم مع أبيه آزر في إبطال عبادة غير الله تعالى، وذلك للاحتجاج على المشركين من العرب؛ لأنّ جميع الطوائف والملل تعترف بفضله، فالمشركون يعترفون بفضله، ويقرّون بأنهم من أولاده، فهم يقولون أنّهم من ملّته، واليهود والنصارى كلهم معظّمون له، معترفون بجلالة قدره، وإذا كان إبراهيم يجادل قومه ويناقشهم في عبادة الأوثان، مرة بعد مرة، فعلى العرب أحفادهِ أن يرجعوا عن وهمهم، ويدركوا الخطأ الذي هم فيه من عبادة الأصنام، ونستطيع القول أنّ الله يذكر نبيّنا عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم أنَّ إبراهيم عليه السلام يُنكِر على أبيه عبادة الأصنام لأنَّ المولى هو الذي خلقه وخلقها، فهو الوحيد الذي يستحق العبادة[2].

ويقول ابن عاشور في تفسيره للآية: عطف على الجمل السابقة التي أولاها قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ﴾ [الأنعام:66] التي تشتمل على المجادلة لإثبات التوحيد وإبطال الشرك، فعقبت تلك الحجج بشاهد من أحوال الأنبياء بذكر مجادلة أول رسول أعلن التوحيد وناظر في إبطال الشرك بالحجة الدامغة

[1] انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير (308/7).

[2] انظر: الزحيلي، **التفسير المنير** (7/ 261).

والمناظرة الساطعة، ولأنّها أعدل حجّة في تاريخ الدين إذ كانت مجادلة رسول لأبيه ولقومه، وكانت أكبر حجة على المشركين من العرب بأنّ أباهم لم يكن مشركاً ولا مقراً للشرك في قومه، وأعظم حجة للرسول صلى الله عليه وسلم إذ جاءهم بالإقلاع عن الشرك[1].

والمناسبة كذلك بيّن المشهد الرئيسي وما يسبقه، ذِكر الله عزوجل لقصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه في إبطال الوثنية؛ لأنّ جميع الطوائف تعتبر إبراهيم عليه السلام مميزاً عندهم ويقدرونه ويعظمونه، ويدعون أنّهم على ملته، ، فكان ذلك حجة على المشركين من العرب، وإذا كان إبراهيم يجادل قومه ويناقشهم في عبادة الأصنام، مراراً وتكراراً، فعلى العرب أحفاده أن يرجعوا عن عنادهم وكفرهم، ويدركوا الخطأ العظيم لعبادة هذه الأصنام[2].

ومن جانب آخر لماذا كان مشهد إبراهيم مع أبيه مع أنّ نبيّنا صلى الله عليه وسلم كان يقابل قومه؟ وفي ذلك إذا كان الابن قد جادل والده في نبذ الشرك، فمن باب أولى مجادلة نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم لقومه، لذلك سبق ذكر الخطاب نبينا محمد عليه الصلاة والسلام لأن رابطة العقيدة أقوى من رابطة الدم.

ومن المناسبة أيضا أنّه عقب تلك الحجج بشاهد من أحوال الأنبياء بذكر المجادلة التي قام بها أول رسول أعلن التوحيد، وجادل في إبطال الشرك بالحجة، فكانت أعدل حجّة في تاريخ الدين مجادلة رسول لأبيه ولقومه، وكانت حجة قوية لهؤلاء المشركين من العرب بأنّ أباهم لم يكن يقر الشرك في قومه، وكانت كذلك حجة عظيمة لرسولنا عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم فقد حثهم على ترك الكفر والشرك بالله[3].

المسألة الثالثة: علاقة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه بالآيات اللاحقة في سورة الأنعام

موضوع الآيات اللاحقة هو المحاجّة بين إبراهيم وقومه، قال تعالى: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠

[1] ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر ت: 1393، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984 هـ (7/ 310).

[2] انظر: الزحيلي، **التفسير المنير** (7/ 261).

[3] انظر: ابن عاشور: **التحرير والتنوير** (7/ 310).

وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨١﴾[الأنعام:80-81].

تتضمّن الآيات محاججة إبراهيم مع قومه عندما جادلوه في التوحيد ونفي الشريك لله، وهداه الله إلى التوحيد[1]، ويقول ابن عاشور أنّه لمّا أظهر إبراهيم عليه السلام عقيدته لقومه بدأوا في مجادلته، فجملة وحاجه عطف على جملة إنّي وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض، وجملة قال أتحاجّوني في الله كانت الجواب لهذا الجدال، ولذلك فصلت على طريقة الحوار[2].

ويقول سيد قطب: وبعد ذلك يجادلون إبراهيم فيما وصل إليه من اليقين وانشراح الصدر، وأرادوا تخويفه من آلهتهم التي من المستحيل أن تُنْزِل به سوءاً، حيث كان يواجههم برؤيته الباطنة والظاهرة للحق الذي هداه، وبكل يقين وجزم، وكذلك الفطرة حين تنحرف تضل وتتمادى في كفرها، وتتسع الزاوية، وتبعد جدا ويصعب عليها حتى العودة، وهؤلاء قوم إبراهيم عليه السلام يعبدون الكواكب والنجوم والأصنام فكلها لا تفقه شيئاً، فلا يتفكرون هذه المرحلة التي تمت في نفس إبراهيم، ولم يكن هذا داعياً لهم لمجرد التفكر والتدبر، بل جاءوا يجادلونه ويحاجونه، وهم على وهن وضلال واضح، ولكن إبراهيم يواجه كل هؤلاء الكفار وهو مؤمن ومطمئن، ويستنكر عليه كل كا يفعلوه[3].

وتظهر العلاقة بالانتقال من المحاجّة الخاصّة إلى المحاجّة العامة أي محاجتهِ مع أبيه ثم قومه، وأنعم الله عليه نعماً من أجزل النعم بأن جعل من نسله الأنبياء والرسل، تعويضاً له بسب هجرته.

الفرع الثاني: علاقة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه مع الجو والمحور العام لسورة الأنعام:

يسود في جو سورة الأنعام التهديد، وفيها من اللمسات العريضة للحقيقة الكبيرة إقامة الحجة على المشركين، ومعالجة الظلم والأخلاق التي كانت متفشية في المجتمع بكلمة لا إله إلا الله ومرحلة بناء

[1] انظر: الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل** (2/ 42)

[2] انظر: ابن عاشور: **التحرير والتنوير** (7/ 327- 325).

[3] انظر: قطب، **في ظلال القرآن** (2/ 1141).

العقيدة الإسلامية في نفوس الناس[1]، وجاء هذا المشهد في قصة إبراهيم مع أبيه وهو يعالج ذلك عن طريق ذكر القصص والتعقيب عليها، بالإضافة إلى المؤثرات الموحية التي كانت السورة مليئة بها، ومنها مشهد الاحتضار الكامل السمات وذلك كله في نفس طويل ومرتب تتوسطها الموجات المتلاحقة التي تم الحديث عنها في مقدمة السورة[2].

كذلك المحور العام يركز على قضية العقيدة ممثلة في قاعدتها الرئيسية الألوهية والعبودية، وهذا يَبْرُز في مشهد إبراهيم عليه السلام أثناء محاججته مع قومه، كما أنّ قرآننا الكريم كان يخاطب نفس الإنسان وفطرته بالنسبة لجوده ووجود الإيحاءات والدلائل[3]، فجاءت محاججة إبراهيم لأبيه كذلك لتفتح آفاق هذه الفطرة، واهتداءها الذاتي إلى ربها الحق، وبالتالي تكون العلاقة في أنّ الجو العام هو التهديد، فيظهر لنا الأمن النفسي والطمأنينة التي لا تكون إلا مع الله تعالى ونبذ الشرك، لأنّهم ظنّوا أنّ ترك الشرك والإيمان بوحدانية الله يعني الضياع والشرك والتيه فكان لا بدّ وأن يبرزلهم أن الأمان مع الله.

أما العلاقة بالمحور العام فتظهر في طريقة محاججة إبراهيم لأبيه وما فيها من جدال قائم على الحجج والبراهين، وقد قابله والده بالكفر والنكران والتهديد. وفي المقابل حاجج اللهُ تعالى العربَ بتشريعاتهم تجاه الأنعام، وفنّد لهم ما وقعوا فيه من أخطاء بالأدلة والبراهين.

[1] انظر: قطب، **في ظلال القرآن** (2/ 1028).
[2] انظر: قطب، **في ظلال القرآن** (2/ 1137).
[3] انظر: قطب، **في ظلال القرآن** (2/ 1004).

المطلب الثالث: مناسبة مشهد إبراهيم عليه السلام مع أبيه وعلاقته بسياق سورة مريم ومحورها العام:

الفرع الأول: علاقة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه وسياق سورة مريم

المسألة الأولى: آيات مشهد قصة إبراهيم مع أبيه الوارد في سورة مريم

موضوع آيات مشهد سورة مريم هو دعوة إبراهيم أباه بأسلوب رقيق إلى عبادة الله ونبذ الشرك، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ٤٨﴾ [مريم:41-48].

في بداية آيات هذا المشهد يصف الله تعالى إبراهيم عليه السلام بأنه كان صديقاً ونبياً، والمعنى لكلمة صدّيق أي كثير الصد والتصديق، ثم يحاور إبراهيم أباه بأسلوب آخر غير ذلك الذي ورد في سورة الأنعام، حتى يهديه إلى الحق وإلى طريق مستقيم.

ويصف سيد قطب أسلوب إبراهيم عليه السلام في سورة مريم بالكلمات الآتية: وقد استخدم إبراهيم نداه لأبيه أربع مرات، وهذا تكرار استلزمه مقام استنزاله إلى قبول الموعظة لأنها بمقام الإطناب[1]، ثم ينتقل إبراهيم عليه السلام إلى سؤاله: كيف الإنسان إلى ما دونه، بل كيف أيضا يصل إلى مرتبة أقل حتى من الحيوان، ثم يقول أنّ هذا ليس من عندي، إنما العلم الذي أوتيه إبراهيم، ويبين أن الطريق الذي يمشي فيه أباه هو

[1] انظر: المرجع السابق (16/ 114).

طريق الشيطان، وإبراهيم يريد أن يهديه إلى الطريق الصحيح، فقابله أبوه بالتهديد والوعيد، والقسوة، فاعتزله إبراهيم عليه السلام[1].

ومن ثم تتكرر: "يا أبت" وفيه التلطف، ثم يأتي بعده بالخبر المؤكد بـ"إنّ"، "وقد"، وذلك حتى يثبت مجيء العلم له، وهو في ذلك لا يدعي العلم المبالغ فيه، فمن التبعيضية هنا تشف عن هيأة التواضع وخفض الجانب التي كان عليها إبراهيم عليه السلام مع أبيه، كما أنّ مجيء الخبر المؤكد بمجيء العلم له، يشف أدباً من آداب الحوار، وإبراهيم لم ينسب هذا الجهل لأبيه؛ بل أثبت العلم لأنّه يخلق جو الطمأنينة في نفس أبيه، لأنّ أصل الدعوة قائم على نور العلم المتمثل بمعرفة الحق، واليقين المتمثل في سلامة الفطرة، وفي ذلك دفع ما يدور في عقل أبيه من اعدم تقبل النصيحة من ابنه، ومن ثم الأدب مع المولى، فلم ينسب إبراهيم العلم إلى نفسه، وإنّما اعترف أنه من ربنا الذي خلقنا وخلق كل شيء، وهذه استجابة من الله لنبينا إبراهيم[2].

فهنا يخاطِب إبراهيم عليه السلام بالعلم، والحجة، والمنطق، وتظهر الملامح من شخصية إبراهيم عليه السلام، فيظهر صبره وحلمه وبره كذلك وحكمته في تعامله الذي هو من أسى وأرقى ما يكون مع جهل أبيه.

ونود التنبيه هنا إلى أنّه يوجد لمسة بيانية في استخدام كلمة (الرحمن) في هذا المشهد من سورة مريم، مع أنّ الأمر متعلق بالعذاب ولم يقل مثلاً الجبّار؟

نقول أنّ الآية التي قبلها هي قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤﴾ [مريم: 44]. ، حيث أنه هنا أيضا ذكر الرحمن، أما السؤال نفسه أنّ الآية التي جاءت بعد الآية في السؤال: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧﴾ [مريم: 47] وهنا لا يصح مثلاً أن

[1] انظر: قطب، **في ظلال القرآن** (4/ 2312-2311).

[2] انظر: الشوكاني، **فتح القدير** (83).

يستخدم كلمة الجبار، لأن المغفرة تلزمها الرحمة وليس من الجبّار، وهنا تدركه الرحمة فيؤمن لأن إبراهيم عليه السلام كان حريصا جداً على إيمان أبيه[1].

المسألة الثانية: علاقة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه مع ما سبقه من الآيات في سورة مريم:

تحدّثت الآيات السابقة عن اختلاف النّصارى في شأن عيسى، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ٣٤ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٣٥ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٣٦ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ٣٧ أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٣٨ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٣٩ إِنَّا نَحۡنُ نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا وَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ٤٠﴾. [مريم:34-40].

يقول سيد قطب في تفسير الآيات السابقة: أنَّ المتصف بالأوصاف السابقة التي قصها عليه هو عيسى ابن مريم، وهذا الكلام الي ذُكِر هو قول الصدق والحق الذي يعتريه أي شك، وهو حقيقة عيسى، لا ما يقوله اليهود والنصارى، ثم نفى الله تعالى أنه ولد له ولد، فإذا أراد ييقول كن فيكون، ولكن الله عزّ وجل ليس بحاجة لولد، تنزه وتقدس الله عن مقالتهم هذه، التي فيها النقس وتعالى الله عن كل نقص، وكذلك مما أمر به عيسى قومه وهو في المهد، حيث أخبرهم بأن الله رب الجميع، وأمرهم بعبادة الله وحده، ولكن بالرغم من أنّ أمر عيسى علي السلام بأنه عبد الله ورسوله واضح، لكنهم مع ذلك اختلفوا فيه، فعذاب شديد لهؤلاء الكافرين المختلفين، وبعد ذلك أخبر الله تعالى عن قوة سمع الكفار وحدة بصرهم يوم القيامة على الضد في الدنيا، ثم أمر بإنذارهم، إذ قضي الأمر وهم في غفلة، فمن أساء يندم على ما اقترفه، ومن أحسن يتمنى لو استزاد من الخير حين يفرغ من الحساب، ومن ثم يقول الله لنبينا عليه أفضل الصلاة

[1] انظر: السامرائي، محمد: **لمسات بيانية في نصوص من التنزيل**، دار عمار، ط9، (833).

والتسليم أنّ الله يرث الأرض ومن عليها، فلا أحد يرث الأموات مما تركوه من متاع الدنيا، وبعد ذلك يردّون إلى الله يوم القيامة، فيجازي من أساء ومن أحسن[1].

ومن ثم ننتقل إلى العلاقة بين هذا المشهد والمشهد في قصة إبراهيم عليه السلام، نستطيع القول، كما قال قطب: أنّ قصة ميلاد عيسى أدّت إلى الكشف عن ما في أسطورة الولد من النكارة والكذب والضلال، وهي التي يستند إليها بعض أهل الكتاب في عقائدهم الفاسدة، وتأتي بعدها في السورة جزئية من قصة إبراهيم ترينا ما في عقيدة الشرك من ضلال وكذب، ومن المعلوم أنّ الهدف من سورة مريم هو: بيان التوحيد والنبوة والحشر، والمنكرون للتوحيد أثبتوا معبوداً غير الله تعالى، وهؤلاء فريقان: منهم من أثبت معبوداً غير الله حياً عاقلاً فاهماً وهم النصارى، ومنهم من أثبت ما يعبد غير الله غير حي، وهؤلاء هم عبدة الأوثان، لكن مع أنّ كليهما لا يتصوره عقل إلا أنّ الفريق الثاني أشد قبحاً، فلما بيّن تعالى ضلال الفريق الأول، تكلم في ضلال الفريق الثاني، وهم عبدة الأوثان[2].

ولمّا تكفّل ما تقدّم من هذه السورة بنفي الشريك بقيد كونه ولداً، أتبع ذلك من قصته ما ينفي الشريك ليقتدي به أولاده في ذلك إذ كانوا يقلّدون الآباء وليس في آبائهم مثله، فقال مبدلاً من إبراهيم {إذ قال} أي اذكر وقت قوله {لأبيه} هادياً له من تيه الضلال بعبادة الأصنام مستعطفاً له في كل جملة بقوله: {يا أبت}[3].

وكذلك مناسبة ذكر قصة إبراهيم هو أنّه أبو العرب، وكانوا معترفين بملته ودينه، فنبههم الله إلى منهج إبراهيم من خلال الجدال مع أبيه، حيث كان أبوه وقومه يعبدون الأصنام مثلما كان يعبد أهل قريش، ويصف الله إبراهيم بأنه كان صديقًا نبيًا، ولفظة صديق تحتمل معنى أنه كثير الصدق وكثير التصديق، وكلتاهما تناسب هذه الشخصية العظيمة، وقصة مريم ذكرت لفظة الرحمن، وذكرها هذه الصفة دون غيرها؛ لأنها أرادت الرحمة من الله عزوجل، وأيضاً في قصة إبراهيم عليه السلام ذكرت لفظة الرحمن وذلك،

---

[1] انظر: قطب، **في ظلال القرآن** (4/ 2309). انظر: الزمخشري، **الكشتف** (17/3).

[2] انظر: قطب، **في ظلال القرآن** (4/ 2311).

[3] انظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** (12/ 201-204).

وكذلك كان أسلوب الحديث عن خبر إبراهيم عليه السلام مثل نفس أسلوب الحديث عن قصة مريم عليها السلام، فكلاهما متشابهان[1].

المسألة الثالثة: علاقة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه بالآيات اللاحقة في سورة مريم:

موضوع الآيات هو: تكريم الله تعالى لإبراهيم وتضحيته للدعوة.

بعد مشهد إبراهيم عليه السلام مع أبيه جاءت الآيات تعليقاً من الله تعالى بما فيه تكريم له تمثل بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ٤٩ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ٥٠﴾. [مريم: 49-50].

وفي ذلك أُنسٌ من الله لوحشته، وثناء حسنٌ عليه[2]، وقد أبدله بمن هم خير من القوم الذين كذبوه وعذبوه، فوهب له إسحاق، وابن ابنه يعقوب بن إسحاق[3].

ومناسبة أنّ الله بعد الاعتزال وهبه ذرية طيبة، هي بيان كمال عِظَم النّعم التي أعطاها المولى لإبراهيم عليه السلام بمقابلة مَن اعتزلهم من الأهل والأقرباء فهي شجرة الأنبياء لهما أولادٌ وأحفادٌ شأنهم عظيم وأعدادهم كثيرة[4].

بالتالي كان هذا الجزاء والنعم على سيدنا إبراهيم بسبب موقفه من أبيه وقومه الثابت الراسخ أمام الشرك والضلال.

وقد بيّن ابن عاشور بأنّ علاقة ذكر اعتزاله إياهم بعد أن ذكر عزمه عليه إيجازاً في الكلام للعلم بأنّ مثله لا يهم على أمر إلا قام به، واكتفى بذكر ما ترتب عليه من جعل عزمه حدثاً واقعاً قد حصل جزاؤه عليه

---

[1] انظر: ابن عاشور، **لتحرير والتنوير** (16/ 81، 111).

[2] انظر: القرطبي، محمد: **جامع الأحكام**، دار الكتب المصرية-القاهرة، ط2، (11/ 114).

[3] انظر: الطبري، محمد: **جامع البيان** (18/ 208)، البغوي: تفسير البغوي (235/5).

[4] انظر: أبو السعود، محمد بن محمد: **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، دار إحياء التراث العربي-بيروت، (5/ 269)، الألوسي، شهاب الدين محمود: **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1(1415هـ)، (420/8).

من ربه، فإنه لما اعتزل أباه وقومه، وحزن لذلك الفراق وشعر بالوحدة، أعطاه الله الذرية ليستأنس بهم، فوهبه ابنه إسحاق، ويعقوب ابن ابنه، وكانا من الأنبياء كذلك[1].

فكان خطاب إبراهيم مع أبيه خطاب رحمة، ثم من رحمة الله أن وهب له من نسله ذرية. وكذلك حال موسى الذي اصطفاه الله وكرمه بمناداته وتقربه من الله ومن نعم الله ورحمته أن جعل من هارون سنداً له.

الفرع الثاني: علاقة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه في سورة مريم بمحور السورة العام:

سبق أن ذُكر أنّ المحور العام لسورة مريم هو (التوحيد ونفي الولد والشريك وإثبات البعث)[2]، حيث يقول الزحيلي: إنّ قصة إبراهيم عليه السلام جاءت أيضاً لتدل على وحدانية الله ووجوده، وإثبات البعث والجزاء من خلال الحديث عن قصص بعض الأنبياء[3].

ويبيّن د. قبّة الديباج بأنّ العلاقة بين قصّة إبراهيم عليه السلام في سورة مريم بمحور السورة العام هي أنّ: السورةُ نزلت لتقرير التوحيد وتثبيت عقيدة الإيمان، وجاءت الآيات في السورة تعرض نماذج ربانية، ومنها قصة إبراهيم عليه السلام وأبيه، وذلك لترسم طريقاً من طرق الدعوة التي فيها أولويّة النصيحة لأقرب الناس، ويبين كيفية أدائها لتثمر بإذن الله، كذلك سورة مريم تكشف عن المحور الدعوي الذي يقوم الرحم والقربة، لتقرر أنّ الوراثة الباقية هي التي لا يفنيها فناء الدنيا، كما أنّها ترد في حدث يقوم على الحوار، وهذا الحوار يصل إلى درجة الإقناع والتواصل الوجداني، لذلك النتيجة الحتمية هي الخيرية المطلقة، ومن ذلك عندما وهب الله إبراهيم إسحاق ويعقوب، وهذه صورة يشكّلها كذلك الرحم والقربى، فبرّ الآباء سبب في برّ الأبناء وصلاحهم[4].

فقصة إبراهيم عليه السلام فيها الحثّ على عبادة الله وحده وطاعته وعدم عبادته، ومحور السورة فيه الدعوة إلى توحيد الله عزّ وجل، والتثبيت على عقيدة الإيمان، وبيان السبيل للمهتدين، وكذلك السبيل

---

[1] انظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير** (16/ 123،126).

[2] انظر: قطب، **في ظلال القرآن** (4/ 2299)

[3] انظر: الزحيلي، **التفسير المنير** (16/ 46).

[4] انظر: قبة الديباج: أرشيف منتدى الفصيح – تأملات في قصة إبراهيم عليه السلام سورة مريم (24694).

للضالين، والخلاف بين إبراهيم عليه السلام ووالده جاء لإثبات الوحدانية ونبذ الشرك ومجادلة إبراهيم أباه بما لا يسمع ولا يبصر.

المبحث الثاني: مناسبة مشاهد المرحلة الثانية من قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه في السور الواردة فيها

اختصت سورة الأنعام (80–81)، والأنبياء (52–68)، والشعراء (69–82)، والعنكبوت (16–26)، والصافات (83–99)، والزخرف (26–28) بذكر المشاهد المتعلقة بمواقف إبراهيم عليه السلام مع قومه، وجداله معهم. ويعالج هذا المبحث كل سورة ذُكر فيها المشهد بما يوافق محور السورة العام، ويناسب الأجواء التي تلامس حبكتها، حيث جاء كل مشهد من هذه المشاهد مناسباً للسياق الذي ورد فيه؛ لذا وجب أن نعرّف بالسورة ثم نشرع في بيان مناسبة كل مشهد من مشاهد إبراهيم مع قومه للسور الوارد فيها.

المطلب الأول: مناسبة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه وعلاقتها في سياق سورة الأنعام ومحورها العام

عرّفنا سابقاً بسورة الأنعام وأنّ محورها الرئيس هو إقامة الأدلة على الوحداني لله تعالى، والإبطال لكل ما يُعبد من دونه، ومعالجة قضية العقيدة الأساسية، وقضية الألوهية والعبودية[1].

فهي تركز على تقرير عقيدة التوحيد وإبطال عقيدة الشرك من خلال مجادلة المشركين بالأدلة والبراهين، ونقض اعتقاداتهم الشركية المنافية للتوحيد، ومنها شرك الأنعام.

وفي هذا المطلب سنقف على مناسبة آيات المشهد مع سياقاتها في سورة الأنعام، وجوها العام.

[1] انظر: قطب: **في ظلال القرآن**، (2/ 1017).

الفرع الأول: علاقة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه في سياق سورة الأنعام

المسألة الأولى: آيات مشهد قصة إبراهيم عليه السلام

تتضمّن الآيات التالية مجادلة إبراهيم لقومه حول عبادتهم غير الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨١﴾ [الأنعام: 80-81].

وقد كان إبراهيم عليه السلام في مجادلته قومَه صاحبَ حجّة لا تَقبلَ النقضَ، وأخبرَهم بأنّه لا يخاف أصنامَهم لأنّها لا تضر ولا تنفع، وأنّ الحجة التي آتاها إبراهيم عليه السلام لقومه والتي تدل على وحدانية الله من أفول الكوكب وغيرها، أرشدها الله تعالى لإبراهيم عليه السلام حجة على قومه المشركين، وهذه الحجة هي رفعة له في الدنيا، وهي درجة الإيمان، والعلم، والحكمة والتوفيق، ودرجة النبوة، ما لم يحظ بها غيره[1].

المسألة الثانية: علاقة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه بما سبقه من الآيات في سورة الأنعام

سبق مشهد إبراهيم عليه السلام مع قومه جدالُه مع أبيه وطلبُه من أبيه أن يترك الشرك، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩﴾ [الأنعام: 75-79].

[1] انظر: طنطاوي، محمد سيد، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط1، (114/5).

والمعنى الذي تتضمّنه الآيات هو: أن يذكِّر محمد قومه ليعتبروا ويتعظوا وقت أن أنكر إبراهيم على أبيه عبادته للأصنام، فقد كان يعبدها من دون الله مع أن الله هو الذي خلقنا وخلقهم في أحسن تقويم، فالله يراهم في انحراف عن الطريق الحق، ونريه أيضاً مظاهر ربوبيتنا، وملكيتنا للسماوات والأرض، ونطلعه على حقائقها ليزداد إيماناً، ولا يقبل الشك بأنّه على الحق، ومقصود الرؤية هنا المعرفة والانكشاف، فتشمل كل شيء معقول من الممكن أن نستدل به على الحق، وقول إبراهيم هذا ربي قول من ينصف خصمه مع علمه بأنه مبطل، فيحكى قوله كما روى غير متعصب لمذهبه، لأنّ ذلك أدعى إلى الحق وأنجى من الشغب، ثم يكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة[1].

وقد بيّن صاحب الكشاف أنّ النّظر الصحيح يؤدي إلى النتائج الصحيحة، فإبراهيم عليه السلام أراد أن ينبّه قومه على الخطأ الذي يرتكبونه من عبادة الأصنام والشمس والكواكب وغيرها، كما أراد أن يرشدهم إلى الطريق الصحيحة للتفكير السليم، وكذلك أنّ المنطق والعقل يؤدي إلى أنّه يصحّ أن يكون إلهاً، لقيام دليل الحدوث فيها، وأنّ وراءها من أحدث ذلك، وصانعاً يصنع كل شيء[2]، فوجه المناسبة أنّ طريق النظر الصحيح في الكون يؤدي إلى شيء واحد فقط مفاده وحدانية الله ونبذ الشرك. لذا أراد إبراهيم عليه السلام أن يريهم هذا القبح الذي هم فيه من عبادة غير الله، لعلهم يرجعون إلى الصواب، فلمّا لم يرجعوا تبرّأ إبراهيم عليه السلام منهم.

ومن المناسبة أيضاً استخدام المؤمن الوسائل المتعددة لكشف ضعف حجة من يشرك بالله تعالى، ووجوب التبرّأ من المشركين، فالمتأمل في هذه الحالات يرى كم أنّ إبراهيم عليه السلام سلك مع قومه طرق عظيمة، وبأسلوب يقنع أي عقل سليم من الممكن أن يستدل على الوحدانية لله فقط، في النوبة الثالثة إلى التصريح بالبراءة منهم والتقريع بأنهم على شرك حين تم قيام الحجة، وتبلج الحق، وبلغ من الظهور غاية المقصود، ثم ختم إبراهيم هذا الترقي في الاستدلال على وحدانية الله، وصرف وجهه وقلبه في المحبة والعبادة لله الذي أنشأ وأوجد السموات والأرض على غير مثال سابق، ومعنى حنيفاً مائلاً عن الأديان

[1] انظر: الطنطاوي، **التفسير الوسيط** (5/ 107).

[2] انظر: الزمخشري، **الكشاف** (2/ 76).

الباطلة والعقائد التي كلها زائفة إلى الدين الحق، وقوله وما أنا من المشركين، وبذلك يكون إبراهيم عليه السلام قد أقام الأدلة المليئة بالحكمة والبراهين الواضحة على وحدانية الله تعالى، وسفه المعبودات الباطلة[1].

ويبيّن القرآن الكريم بأنّ إبراهيم عليه السلام قد سلك مع قومه أسلوب المجاراة والاستدراج ليقيم الحجّة عليهم في بطلان شركهم، وذلك بعد أن استخدم أسلوب الإنكار معهم سابقاً، حيث يقول المطعني في بيان ذلك: إنّ إبراهيم عليه السلام أنكر على أبيه وقومه أن يتخذوا من الأصنام آلهة، ووصف ذلك بالضلال المبين، وبعد ذلك سلك معهم مسلك المجاراة للخصم فيما يزعم من باطل ليأتي تباعاً شُبهة بعد الأخرى، فيبطلها، وهكذا حتى إذا ما بقى له شيء يمكنه التمسك به دفع شُبهه مرة واحدة وأثبت المطلوب الذي يريد إثباته،و هذا كله من الاستدراج الحكيم الذي ساقه القرآن على لسان إبراهيم عليه السلام[2].

وقد أشار الماتريدي إلى أنّ هناك اختلافاً في الكلمات التي ابتلاه الله بها، فقال هي: التي ذكرت في سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا﴾ [الأنعام: 76]، ورأى القمر بازغًا، ورأى الشمس بازغة، هي الأدلة التي أقامها على قومه بقوله: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾[3]. [الأنعام: 83].

لكن على الرغم من ذلك جاءت النتائج على عكس ما توقعها إبراهيم عليه السلام، فلما انتصر عليهم في المناظرة، تمسكوا بما هم عليه، ولم يتقبلوا أن يجعلوا الآلهة إلهاً واحداً، وقاموا بتخويفه لما طعن في الألوهية لهذه الأصنام[4].

---

[1] انظر: الطنطاوي، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم** (5/ 110).

[2] انظر: المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد (ت: 1429هـ)، **خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية** ط1، مكتبة وهبة (1413 هـ - 1992 م) (1/ 446). رسالة دكتوراة

[3] الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود (ت: 333هـ)، **تأويلات أهل السنة**، ط 1 (دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان) 1426هـ - 2005 م (1/ 554).

[4] انظر: الزحيلي، **التفسير المنير** (7/ 270).

ووجه المناسبة: أنه حينما أقام الأدلة لهم التي تدل على توحيد الله، ووجوب عبادته وحده، جاؤوا بالشبهات التي أثاروها[1].

كذلك يظهر للقارئ أنّ قصة إبراهيم عليه السلام حيث إنّه كان يبحث عن التوحيد، فأتت لنا كنموذج للبحث عن التوحيد كذلك، حيث يظهر فيها كيف واجه إبراهيم عليه السلام قومه الذين كانوا يعبدون الأصنام، ورفضه الشرك بكافة أنواعه، وبعد ذلك يمكن الاستخلاص من القصة أن الرسل صانهم الله تعالى من العدول عن أصل العقيدة المؤهلين لإبلاغها ونشرها.

المسألة الثالثة: علاقة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه بالآيات اللاحقة في سورة الأنعام

الآيات الآتية فيها تأييد الله تعالى لإبراهيم وهو يحاجج قومه، والجزاء العظيم لإبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾. [الأنعام: 84-90].

يُشير الزحيلي في تفسيره إلى أنّ الله تعالى بعد أن عرض حجّة إبراهيم عليه السلام في التوحيد، بدأ ببيان مظاهر التكريم والإحسان الإلهي لهذا النبي الكريم، فذكر أولاً إيتاء الحجة لإبراهيم عليه السلام، كما في قوله: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام: 83] واعتبرها من أبرز خصائص الرسالة، ثم

[1] انظر: الزحيلي، **التفسير الوسيط** (1/ 574).

أشار إلى التكريم الثاني في قوله تعالى: ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ﴾ [الأنعام: 83] ، دلالةً على رفعة منزلة إبراهيم في سلّم الأنبياء، وجاء التكريم الثالث في قوله: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾[الأنعام: 84] إلى نهاية الآيات، حيث يبيّن أنّ الله وهب له من ذريته صفوة الأنبياء، وجعل منهم رسلاً وأئمة مهديين، فكانوا امتداداً لدعوته، ويرى الزحيلي أنّ هذا العطاء العظيم كان جزاءً لإبراهيم عليه السلام على صبره وهجرته في سبيل الله، حين اعتزل قومه وأهله، مهاجراً بدينه، فجازاه الله بأن جعل ذريته المباركة تحمل الرسالة من بعده، لتكون قرة عينٍ له في الدنيا والآخرة، وامتدادًا لرسالته التوحيدية[1].

ووجه المناسبة هو ذكر الأنبياء الذين ساروا على نهج التوحيد بعد إبراهيم عليه السلام، فتنتقل الآيات للحديث عن الأنبياء الآخرين الذين جاءوا من نسله وساروا على دعوة التوحيد، فتذكر إسحاق، ويعقوب، ونوح، وداود، وسليمان، وغيرهم من الأنبياء الذين حملوا راية التوحيد.

وكذلك تؤكد استمرارية الدعوة إلى التوحيد عبر التاريخ، وأنّ إبراهيم عليه السلام أحد أركان هذه السلسلة النبوية التي أرسلها الله لهداية البشر.

ونستنتج من ذلك أنّ قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه في سورة الأنعام تتناسب مع الآيات السابقة واللاحقة من حيثُ التأكيد على أهمية التوحيد ورفض الشرك، وتأتي كمثال عملي ونموذج لمنهج الدعوة إلى الله عبر التأمل والتفكر، حيث إنّ إبراهيم يُمَثّل الشخصية التي أخذت على عاتقها نشر الوحدانية ونبذ الشرك، فهو النموذج الذي يجب أن يتبعه المسلمون.

وكذلك يمكن القول أنّ من المناسبات الانتقال من الخاص إلى العام، قبل أن يجادل إبراهيم قومه جادل والده مجتهدا بكل الأساليب، ثم جادل قومه حتى لا يعترض عليهم أحد.

وكذلك من مقتضيات الدعوة أن لا يظن الناس أنّ دعوة إبراهيم عليه السلام لوالده خاصة، وعامة لقومه.

[1] انظر: الزحيلي، **التفسير المنير** (7/276،277).

الفرع الثاني: علاقة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه بالمحور العام لسورة الأنعام

محور سورة الأنعام هو ترسيخ العقيدة، وتعريف الناس بربهم، وإقامة الأدلة على وحدانية الله، ومحاجّة المشركين[1]، وآيات قصة إبراهيم ذات شأن كبير بالنسبة للدعوة الإسلامية، فهي تُقرر حقائقها، وتجيب على كل شبه المعارضين، ومشهد إبراهيم عليه السلام فيه الحديث عن إقامة الحجة على قومه من مجادلات ومخاصمات[2]، كما أنّ الآيات فيها تقرير لحقيقة الأمن والخوف، وفيها تدليل واضح على وحدانية الله، فجاء مشهد إبراهيم عليه السلام مع قومه إثباتاً لوحدانية الله تعالى، ونبذ الشرك وفق الحجة، وذلك بأسلوب القصص والتعقيب عليه، مع الأمور الموحية التي تزخر بها السورة، وكذلك يعرض موكب الإيمان الموصول منذ نوح عليه السلام، إلى نبيّنا صلى الله عليه وسلم، وفي بداية هذا الموكب يظهر لنا حقيقة الألوهية، كما هي في فطرة إبراهيم عليه السلام، وهذا مشهد رائع للفطرة السليمة، وهي تبحث عن الإله الحق، الموجود في الأعماق، لكن في الخارج تصطدم بالجاهلية والانحراف الذي يكون منها، وينتهي بالتصور الحق الذي يطابق ما كان في أعماقها، ويقوم على ما تجده من برهان داخلي هو أقوى وأثبت من أي شيء محسوس، وذلك حين يحكي السياق عن إبراهيم عليه السلام بعد أن اهتدى إلى ربه الحق، واطمأنّ إلى ما وجد في قلبه[3]، إضافة إلى أنّ إبراهيم عليه السلام يُعَدُّ النموذج الأصيل في المحاججة العقلية وفق النظر العقلي والتأمل في السنن الكونية وصولاً إلى الله الحق، ووحدانيته وألوهيته.

---

[1] انظر: الطنطاوي، **التفسير الوسيط** (23/5)، ابن عاشور، **التحرير والتنوير** (125/7).

[2] انظر: الطنطاوي، **التفسير الوسيط** (5/ 17).

[3] انظر: قطب، **في ظلال القرآن** (2/ 1029،1020).

المطلب الثاني: مناسبة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه وعلاقته بسياق سورة الأنبياء ومحورها العام

ذُكر سابقاً أنّ المحور العام لسورة الأنبياء هو: معالجة أمور العقيدة، والتي تمثلت بقدرة الله، ووحدانيته والرسالة، والجزاء، وأنّ الساعة حق[1]، وأنّ جوها العام هو: "الإنذار والبشرى، وتؤكد على أنّ القرآن هو ذكر ورحمة للعالمين. كذلك إدراك الحق الأصيل في العقيدة التي جاء بها خاتم الرسل"[2].

وفي هذا المطلب سيتم بسط العلاقة بين مشهد إبراهيم عليه السلام مع قومه الوارد في سورة الأنبياء، والسياق الوراد فيه.

الفرع الأول: مناسبة مشهدقصة إبراهيم عليه السلام مع قومه الوارد في سورة الأنبياء بالسياق

المسألة الأولى: آيات مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه الواردة في سورة الأنبياء:

موضوع آيات مشهد قصة إبراهيم مع قومه في سورة الأنبياء هو: إنكاره على قومه عبادة الأصنام ودعوتهم إلى توحيد الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ

[1] انظر: البقاعي، **نظم الدر في تناسب الآيات والسور** (428/12)، (476).

[2] انظر: قطب، **في ظلال القرآن** (4/ 2365).

يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنبياء: 52-68].

وآيات هذا المشهد تحدثت عن قضية الإنكار التي كانت من إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه بشأن قضية عبادة الأصنام، حيث دعاهم إلى الإيمان بالله، وقام بتحطيم الأصنام، وحاكموه أمام الناس، لكن إبراهيم عليه السلام نجح في إقامة الحجة عليهم، عندما لجؤوا إلى إحراقه بالنار، ونجاه الله منها، ومن ثم خرج مع لوط إلى فلسطين هذه الأرض المباركة، ووهبه الله لإبراهيم إسحاق ومن ثم يعقوب، وعندما قال ما هذه التماثيل، فكانت قولته هذه دليل رشده، حيث سمى تلك الأحجار والخشب باسمها، أي التماثيل، ولم يقل: أنّها آلهة، واستنكر عليهم عبادتها[1].

وتبيّن الآيات أنّ إبراهيم عليه السلام راعى مسألة التحجّر العقلي لقومه الذي استدلّ عليه من قولهم بأنّهم يعبدون ما عبد آباؤهم، حيث رد عليهم بالفطرة والتهديد إن كانت آلهة لتدافع عن نفسها، فحطمها، والأصل أن يفكروا لماذا لم تدافع؟ بل قالوا من فعل بها؟ وحديث النفس الذي دار بينهم، لكن طُمس على أعينهم وقلوبهم، واختاروا معاقبة إبراهيم عليه السلام فنجاه الله، وكان ذلك جواباً يدل على عقلهم المتحجر المبني على التقليد الأعمى فقط مقابل حرية الإيمان، والانطلاق للنظر والتدبر، وتقويم الأشياء والأوضاع القيمة الحقيقية لا التقليدية[2].

المسألة الثانية: علاقة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه بما سبقه من الآيات في سورة الأنبياء

تحدثت الآيات التي سبقت المشهد في سورة الأنبياء عن إتيان الله الرشد لإبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿۞وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾. [الأنبياء:51].

[1] انظر: قطب، **في ظلال القرآن** (4/ 2385).

[2] انظر: قطب، **في ظلال القرآن** (4/ 2385)

والمراد بالرشد في الآيات: الهداية إلى الحق والبعد عن ارتكاب المَنهي عنه، وتحدثت الآيات عن أنّ الله قد آتى إبراهيم عليه السلام الرشد إلى الحق، والهداية إلى الطريق المستقيم، من قبل النبوة بأن جنَّبه مما كان عليه قومه من كفر وضلال، وقد اكتفى الإمام ابن كثير بهذا المعنى في قوله تعالى من قبل فقال: يخبر الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام، أنه آتاه الرشد منذ الصغر فألهمه الحق والحجة على قومه[1].

ووجه المناسبة أنّ هذه هي القصة الثانية من قصص الأنبياء في هذه السورة، وفيها التسلية لرسولنا الحبيب، ليُقتدى بهم في الصبرعلى المشقة، والجهاد في سبيل الله، والدعوة إلى ديننا، وبعد أن كان إبراهيم أهلاً لما آتاه الله من رشد، كان له كذلك موقفاً جريئاً من الأصنام، وأنكر عليهم عبادة الأصنام، وقام بهدمها، وكان أهلا لتلك القوة[2]. بذلك يكون ما بعد الآية عند حديثه مع قومه إنما هو بيان لما واجه به إبراهيم أباه وقومه من القول الحكيم الذي يدل على الشجاعة والرشد من إبراهيم عليه السلام.

فقصة إبراهيم مع قومه كانت شاهداً على بطلان هذا الشرك الذي كان تماماً مثل حال المشركين بمكة الذين جاء نبيّنا صلى الله عليه وسلم لقطع أمره، وفي ذكر قصة إبراهيم توَرّكٌ على المشركين من أهل مكة إذ كانوا على الحالة التي قالها جدهم إبراهيم على قومه، وهذه كافية للحجة عليهم، وكذلك فإنّ شريعة إبراهيم أشهر شريعة بعد شريعة موسى[3].

المسألة الثالثة: علاقة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه بالآيات اللاحقة في سورة الأنبياء

بيّنت الآيات اللاحقة لمشهد قصة إبراهيم عليه السلام في سورة الأنبياء أنّ من سنن الله تعالى نصرة الأنبياء، وإن كان ذلك على خلاف المعهود البشري، قال تعالى ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ

[1] انظر: ابن كثير، **تفسير ابن كثير** (314/5).
[2] انظر: الزحيلي، **التفسير المنير** (17/ 73).
[3] انظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير** (17/ 92).

ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ٧٣ وَلُوطًا ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعۡمَلُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَٰسِقِينَ ٧٤ وَأَدۡخَلۡنَٰهُ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٧٥ ﴾ [الأنبياء: 69-75].

يشير الزحيلي إلى أنّه بعد ذكر مشهد قصة إبراهيم عليهِ السلام ونجاته من النار وذكر نعم الله تعالى على إبراهيم عليه السلام، بدأ بقصة لوط عليه السلام، وذكر نِعمه عليه، وذلك لما بينهما من القرابة والاشتراك في النبوة، ولوط: هو لوط بن هاران بن آزر، كان قد آمن بإبراهيم عليه السلام فصدّق به واتبعه وهاجر معه[1].

ووجه المناسبة في الآيات أنّه بعد أن نجّى الله تعالى إبراهيم من النار، ذكر نعماً أخرى عليه وعلى لوط، وقد ذكر مع إبراهيم كما قلنا سابقاً لما بينهما من القرابة والاشتراك في النبوة، ومن تلك النعم: إخراجهما من العراق إلى بلاد الشام، وجعلهما أئمة يقتدى بهم، وأنزل الوحي عليهما ليفعلوا الخيرات، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، وكذلك وهب إبراهيم الولد، وهو إسحاق ويعقوب[2].

ومن الجميل الإشارة إلى أنّه يظهر في قصة إبراهيم عليه السلام روعة التعبير البلاغي عند ذكر لوط عليه السلام والنعم التي أنعم الله عليه، يقول ابن عاشور: سبب تقديم ذِكر لوط على الفعل في الآيات، حيث يقول: وقدم مفعول آتينا اهتماماً به لينبه على أنه محل العناية إذ كان قد تأخر ذكر قصته بعد أن جرى ذكره بعد ذكر إبراهيم للتنبيه على أنّه بعث بشريعة خاصة، وإلى قوم آخرين غير الذين بعث لهم إبراهيم، وكذلك أنّه كان في الأماكن غير التي نزل فيها إبراهيم، بعكس إسحاق ويعقوب، ولأجل البعد أعيد فعل الإيتاء ليظهر عطفه على آتينا إبراهيم رشده، ولم يعد في قصة نوح عقب هذه، وأعقبت قصة إبراهيم بقصة لوط للمناسبة، وخص لوط بالذكر من بين الرسل لأنّ أحواله مشابهة لأحوال إبراهيم في مقاومة أهل الشرك

[1] انظر: الزحيلي، **التفسير المنير** (17/ 92).

[2] انظر: الزحيلي، **التفسير المنير** (17/ 88).

والفساد، وإنّما لم يذكر ما هم عليه قوم لوط من الشرك لأنّه استغنى بذلك ذكر الفواحش التي كانت جارية عندهم، فهي أثر من الشرك[1].

وكذلك أنّ الله تعالى ذكر نعمه على لوط عليه السلام بعد بيان ما أنعم به على إبراهيم عليه السلام، وذلك لما ذكرناه من قبل من تشابه[2].

الفرع الثاني: علاقة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه بالمحور العام لسورة الأنبياء:

ذُكر سابقاً أنّ محور سورة الأنبياء هو: معالجة أمور العقيدة: كالقدرة على البعث، والوحدانية لله تعالى، والرسالة، والجزاء، وجوها العام: استنهاض القلب ليدرك الحق الأصيل في العقيدة التي جاء بها رسولنا الحبيب.

وعندما كان الحديث في سورة الأنبياء عن الوحدانية لله، وأنّ ما سواه لا يليق بالعبادة، جاء في هذه السورة من قصة إبراهيم ما يوضح هذه الحقيقة ويؤكدها في الذهن، فتحدّثت الآيات عن تحطيم إبراهيم للأصنام، وبّين ضعفها، وأنّها ليست عندها أي قدرة لتدافع عن نفسها فكيف يصح أن تُعبَد من دون الله[3].

وكذلك يمكن القول أنّه جاء ذكر الله تعالى هنا لقصة إبراهيم عليه السلام مع قومه في مقاومة الشرك ووضوح الحجة على بطلانه، حيث قاوم الشرك بالحجة وبالقوة معلنا التوحيد [4].

---

[1] انظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير** (91/17).

[2] انظر: الرازي، **مفاتيح الغيب** (22/ 162).

[3] انظر: البدوي، أحمد أحمد عبد الله البيلي، ت1384هـ: **من بلاغة القرآن**، نهضه مصر – القاهرة، 2005 (ص: 279).

[4] انظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير** (17/ 92).

المطلب الثالث: مناسبة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه وعلاقتها بسياق سورة الشعراء ومحورها العام

الفرع الأول: بين يدي سورة الشعراء، وموضوعاتها وجوها العام

أولاً: التعريف بسورة الشعراء

وهي سورة مكية[1]، ترتيبها في المصحف ست وعشرون، في الجزء التاسع عشر، وهي من السور التي افتُتحت بالحروف المقطعة (طسم)، وسميت بهذا الاسم لذكر الشعراء فيها، وسميت كذلك لأنها ختمت بالمقارنة بين الشعراء الضالين والشعراء المؤمنين[2].

ثانياً: الموضوعات التي اشتملت عليها سورة الشعراء

اشتملت سورة الشعراء على الموضوعات الآتية:

أولاً: الآيات (1–9): تكذيب المشركين بالقرآن الذي نزل على نبيّنا صلى الله عليه وسلم بالرغم من حرصه على الإيمان بالله ونبذ الشرك.

ثانياً: الآيات (10–191): ذكرت قصص بعض الأنبياء، وبيان موقف الأقوام من آيات الله تعالى التي أيد بها الأنبياء والرسل، وفيها قصة موسى وقصة إبراهيم وبعض مشاهد يوم القيامة، وقصة نوح، وقصة هود، وقصة صالح، وقصة لوط، وقصة شعيب، وكلها اجتمعت على مقصد واحد هو الدعوة إلى توحيد الله.

ثالثاً: الآيات (192–227): وفيه التأكيد على بلاغة القرآن وحجته المعجزة، وحفظ الله تعالى لهذا القرآن، وتهديد المصرّين على التكذيب بالعذاب[3]، فكأنّه كالخاتمة لموضوعات السورة، وفيه خطابٌ لقريش ومن يأتي بعدهم بأنّ معجزة القرآن باقية، وكذلك المكذبين والمعاندين إلى زوال.

---

[1] انظر: الزركشي، بدر الدين: **البرهان في علوم القرآن**، دار إحياء الكتب العربية، (193/1)، انظر: السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن** (43/1).

[2] انظر: شرف الدين، جعفر: **الموسوعة القرآنية خصائص السور**، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، ط1 1420 هـ، (6/ 137)، انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير: (89/19)، انظر: الزحيلي: **التفسير المنير** (1189/19).

[3] انظر: ابن عاشور: **التحرير والتنوير** (91/19). انظر: قطب: **في ظلال القرآن** (5/ 2583).

ثالثاً: محور سورة الشعراء وجوها العام

1. محور سورة الشعراء هو: العقيدة، وأهمها: توحيد الله[1].

2. الجو العام للسورة: يغلب على القصص التي وردت في السورة نفسها من مواضيع الإنذار والتكذيب، والعذاب الذي يتبع التكذيب، وأجواء السورة مفعمة بالتحدي، ودحض كون أنبياء الله ورسالتهم من أن تكون سحراً أو شعراً، فما من قصة إلا جاءت بشيء من ذلك[2].

الفرع الثاني: مناسبة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه وعلاقته بسياق سورة الشعراء ومحورها العام

عرّفنا سابقاً بسورة الشعراء، وأنّ محورها الرئيس هو: التوحيد، والرسالة، والبعث، والآن بصدد بيان علاقة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه.

المسألة الأولى: علاقة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه بسياق سورة الشعراء:

أولاً: آيات مشهد إبراهيم قصة عليه السلام مع قومه في سورة الشعراء

موضوع آيات مشهد إبراهيم مع قومه في سورة الشعراء هو: التنديد بعبادة الأصنام وبيان صفات الرب المستحق للعبادة، وهذا متمثل في قوله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ٧٠ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ٧١ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ٧٢ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ٧٣ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٧٤ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ٧٥ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ٧٦ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٧ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ٨١ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ٨٢﴾ [الشعراء: 69-82].

---

[1] انظر: قطب: **في ظلال القرآن** (5/ 2583).

[2] انظر: قطب، **في ظلال القرآن** (5/ 2584)، ابن عاشور: **التحرير والتنوير** (91/19).

في هذه الآيات أنكر إبراهيم عليه السلام على أبيه وقومه عبادة الأصنام، وبَيّن لهم صفات الله، وأن يذكر محمد مشهد إبراهيم مع أبيه وقومه لأخذ العبرة والعظة، ليقتدوا به في الإخلاص، وعبادته وحده، فإن الله تعالى أعطى إبراهيم الرشد منذ الصغر حتى الكِبر، ولما أصبح شاباً أنكر على القوم عبادتهم للأصنام، ولجأوا إلى التقليد الأعمى؛ لأنهم لم يجدوا أي جواب مقنع يرد حجة إبراهيم، وهنا تحدى إبراهيم عليه السلام قومه أن تقوم هذه الأصنام بإلحاق أي أذى به، ويقول إبراهيم: لكن رب العالمين الذي خلقني ويرزقني، فآثر إبراهيم عبادة من بيده الخير كله، والذي بيده الشفاء وكل شيء، وهذه نصيحة لنفسه، وهم أدعى بالقبول، وهنا أسند الإنعام والهداية إلى الله تعالى، وأسند المرض إليه، وذلك استعظاماً لله، أن يغفر له خطيئته لبيان أن الغفران له ولأجله، وليس من أجل أي أمر عائد إليه[1].

وهذا فيه إظهار للعبودية من إبراهيم عليه السلام، مع أنّه كان على علم تامّ بأنّه من المغفور لهم، وأنّ إبراهيم ذكر صفات المعبود التي يجب أن تعبد بحق، فمن عبد الله حصل له النفع ودفع الضرر عن نفسه في الدنيا والآخرة، فالله هو الذي خلقنا، وهو الذي يطعمنا، وهو الذي يحيي ويميت، وهو الشافي المعافي.

ثانياً: علاقة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه الوارد بما سبقه من الآيات في سورة الشعراء

سبق مشهد إبراهيم عليه السلام مع قومه في سورة الشعراء قصة موسى عليه السلام مع فرعون وفيها بشرى لكل مؤمن مستضعف، حيث كان المؤمنون قلة في ذلك الوقت في مكة، وكذلك فيها الدمار لكل ظالم يتجبر ويشبه موقفهم موقف المشركين، قال تعالى: ﴿۞وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ٥٢ فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ٥٣ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ٥٤ وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ ٥٥ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ٥٦ فَأَخۡرَجۡنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٥٧ وَكُنُوزٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ٥٨ كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٥٩ فَأَتۡبَعُوهُم مُّشۡرِقِينَ ٦٠ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب

[1] انظر: الرازي، **مفاتيح الغيب** (510/24).

• جعلت هذا المقطع مع قومه على الرغم من ذكر أبيه لأنهم تصدروا المواجهة.

بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾ [الشعراء: 52-68].

ووجه المناسبة، أولاً: تسلية لرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم عما أحزنه من التعذيب الذي لاقاه من قومه، بالإضافة إلى قيام الأدلة والمعجزات على الإيمان بالله والرسل، وكذلك قصة إبراهيم عليه السلام كانت تسلية للرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وبشارة له بالنصر، وكذلك ليعرف نبيّنا أنّ حزن إبراهيم عليه السلام كان أشد من حزنه؛ لأنّه يرى أباه وقومه في النار، ولا يتمكن من إنقاذهم، وذلك كله فيه إشارة إلى أنّ المعارضة للرسل من قبل أقوامهم هو أمر منذ القد وسيبقى مستمراً على طول الزمان، فليس هناك داعٍ للحزن[1].

وثانياً: رسالة موسى وإبراهيم كلتاهما قائمتان على الاعتقاد والتشريع، ففيهما الفطرة في العقل والعمل، فقد ضرب الله مثلاً للمشركين لإبطال زعمهم أنّهم لا يؤمنون حتى تأتيهم الآيات كما أوتي موسى، فإنّ آيات موسى وهي أكثر آيات الرسل السابقين لم تقض شيئاً في إيمان فرعون وقومه لمّا كان خُلُقُهم المكابرة والعناد أعقب ذلك بضرب المثل بدعوة إبراهيم المماثلة لدعوة محمد صلى الله عليه وسلم في النداء على إعمال دليل النظر[2].

وثالثاً: قصة موسى وفرعون فيها موقف واضح يظهر قدرة الله تعالى في أحلك الساعات وأشدّ الأزمات، ويبين مدى ضعف الاعتماد على القوة البشرية الظالمة في مواجهة قدرة الله تعالى، ومن حكمته تعالى أن يستدرج الظالمين إلى الهاوية والهلاك، فيغرقهم جميعا ليكونوا عبرة للمعتبر.

وكذلك سيدنا إبراهيم عليه السلام أنجاه الله وهو في أشد الأزمات وأحلك الساعات، عندما نجاه من النار.

[1] انظر: الزحيلي، **التفسير المنير** (19/ 160).

[2] انظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير** (19/ 137).

وكل ذلك يتلخّص في الصراع بين الحق والباطل، وزوال فرعون بالغرق، ومعجزة فلق البحر، وأنّهم اتبعوا فرعون فأوردهم المهالك، وكذا قوم إبراهيم عليه السلام اتبعوا ما لا ينفعهم ولا يضرهم استكباراً وعناداً حتى غدوا أعداء الله وأعداء إبراهيم عليه السلام.

ثالثاً: علاقة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه بالآيات اللاحقة في سورة الشعراء

موضوع الآيات اللاحقة لمشهد إبراهيم مع قومه في سورة الشعراء هو: دعاء إبراهيم عليه السلام وتضرعه إلى الله تعالى طلباً للجنة، وهو في قوله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: 83-89].

في هذه الآيات يسأل إبراهيم ربه أموراً تجعله من الأخيار المصطفين، للتعليم والاقتداء به، فيسأله متضرعاً أن يمنحه الله العلم، وأن يجعله من الصالحين، وأن يجعل له ذكراً جميلاً يقتدى به، فيجيب الله دعاءه، ثم يسأل الله تعالى أن يهدي أباه لديننا الحق، وأن يخرج من الشرك؛ فاستغفر إبراهيم لأبيه؛ لأنّه في الظاهر وعده بالإيمان به، فعندما لم يفعل ما قال به تبرأ منه إبراهيم عليه السلام، ووصف أنَّ يوم االحساب لا ينفع إلا قلب السليم الخالص من الشرك، فلا ينفع لا مال ولا أولاد، فبذلك يكون إبراهيم عليه السلام جمع خيري الدنيا والآخرة بأن آتاه الله العلم والمعرفة بخالقنا، وبعد ذلك طلب إبراهيم عليه السلام أن يمنح الثناء الحسن بالتوفيق إلى كل عمل صالح في الدنيا، ويخلد ذكره في الدنيا، وهذه يدلنا ويرغبنا في العمل الصالح الذي يكسبنا الثناء الطيب، وكذلك ذكر الله تعالى بشكل دائم من أهم الأمور التي تؤدي إلى سلامة القلوب، والتخلص من الصفات السيئة، وكذلك يجب علينا أن نستفيد من هذه الأدعية ونرددها ونعمل بها[1].

[1] انظر: الزحيلي، **التفسير المنير** (174/19).

ومن المناسبة في ذلك أنّه أتبعه بالدعاء بعد أن أثنى إبراهيم عليه السلام على ربنا وعظم الشأن، وعدّد النّعم التي أنعمها عليه منذ أن وُلد حتى حين وفاته، مع ما يرجى في الآخرة من رحمته، وهذا هو المطلوب عند الدعاء أن نقدم أولا الثناء[1].

ووجه المناسبة أيضاً: أنه أتى بدعاء إبراهيم عليه السلام عند الانتهاء من الدعوة إلى الدين، فهو ابتهال أدعى للقبول، كالدعاء عندما نصلي وعندما نفطّر صائم، والدعاء عند الانتهاء من البناء للكعبة[2].

والخلاصة: أنّ هذه الأدعية من إبراهيم عليه السلام تفيدنا عندما نوجه هذا الجيل ونحضه على التعليم وأن نلتزم جميعا عندما ندعوا الله[3].

رابعاً: علاقة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه مع الجو العام والمحور العام لسورة الشعراء

فالجو العام لسورة الشعراء هو: الإنذار، والتكذيب، وبعد ذلك العذاب الذي يأتي بعد التكذيب، وذلك أنّ هذه السورة تفند الكذب الذي كان من المشركين لرسولنا عليه الصلاة والسلام، وتستهزء بهم، وبإعراضهم عن الآيات، وأنّهم استعجلوا العذاب الذي وعدهم به مع الادعاء أنّ القرآن سحر أو شعر تتنزل به الشياطين[4].

أما محور السورة فيتمثل في التنويه بالقرآن، والحديث عن عجزهم عن المعارضة لهذه الآيات، والتسلية للنبيّ صلى الله عليه وسلم على ما واجهه عندما رفض قومه أن يؤمنوا بالله وحده[5].

وفي هذه السورة الحديث عن الرسل، والدعوة التي قاموا بها لتوحيد الله، فأرسل موسى إلى فرعون بهذه الدعوة، وكذلك هود وصالح عليهما السلام، فجاءت قصة إبراهيم عليه السلام في نفس السياق، فعرضت ما دفع إبراهيم إلى ترك هذه العبادة التي كان يعبدها قومه، وكذلك ما دفعه للتوجه إلى الله وإفراده بالعبادة، فتحدثت السورة عن الوحدانية لله، وتعدّد المعروض من قصة إبراهيم، لتأييد هذه الوحدانية، فعرض من هذه القصة الخوف الذي كان من إبراهيم على سوء المصير الذي سيلاقيه كل من يشرك بالله، وقام بتحذير والده من عاقية هذا

---

[1] انظر: الزحيلي، **التفسير المنير** (19/ 172).
[2] انظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير** (19/ 144).
[3] انظر: الزحيلي، **التفسير المنير** (19/ 176).
[4] انظر: قطب، **في ظلال القرآن** (5/ 2584).
[5] انظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير** (19/ 90).

المصير، وفي مشهد آخر يعرض مثالاً عمليّاً يبين قلة عناء هؤلاء المعبودين من دون الله، وفي موضع ثالث عرض الأمور التى دفعت إبراهيم إلى عبادة الله وحده[1].

والمناسبة في ذلك أنّه عندما ذكر الله في أول السورة شدة حزن نبّنا صلى الله عليه وسلم بسبب كفر قومه ذكر قصة موسى وأتبعها بقصة إبراهيم عليه السلام، ليعرف نبيّنا الكريم كذلك أنّ حزن إبراهيم عليه السلام بهذا السبب كان الأشد والأعظم من حون رسولنا محمد عليه الصلاة والسلام، لأنّه عندما يرى إبراهيم عليه السلام أباه وقومه بسبب عملهم يدخلون النار، وهو لا يستطيع تقديم شيء إلا الدعاء لهم، وتنبيههم على أخطائهم يكون ذلك في قمة المحنة والابتلاء[2].

كذلك جاءت قصة إبراهيم عليه السلام في سورة الشعراء لتدل على حوار إبراهيم عليه السلام مع قومه حول العقيدة، والإنكار للآلهة، وأن يتجهوا إلى الله بالعبادة، وأن يتكروا اليوم الآخر، ويأتي بعد هذا مشهد من مشاهد يوم القيامة، يندم العباد فيه على ما اقترفوه من شرك، وفي هذا عبرة لكل من يكفر بالله، وبعد ذلك يتوسع في الحديث عن المقومات للعقيدة التي تدعوا إلى التوحيد، وكذلك الفساد لعقيدة الشرك، والمصير للمشركين يوم الحساب، لأنّ التركيز متجه إليها، فيختصر كل ما عدا ذلك مما يقوم بتفصيله في السور الأخرى[3].

---

[1] انظر: البدوي، **من بلاغة القرآن** (280).

[2] انظر: الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير** (24/ 509).

[3] انظر: الرازي، **مفاتيح الغيب** (5/ 2600).

المطلب الرابع: مناسبة مشهد إبراهيم عليه السلام مع قومه وسياق سورة العنكبوت، وموضوعاتها ومحورها العام

الفرع الأول: بين يدي سورة العنكبوت، وموضوعاتها ومحورها العام

أولاً: بين يدي سورة العنكبوت: مكيّة وآياتها تسع وستّون[1]، وهي من السور التي افتتحت بالحروف المقطعة (ألم)، وسبب التسمية بهذا الاسم؛ لأنّها اختصت بذكر العنكبوت في السورة[2].

والحكمة من أنّه بدأ هذه السورة بالحروف، ولم يبدأ بذكر مثلاً القرآن أو الكتاب لأنّ فيه إشارة إلى مبدأ التكليف، فجميع التكاليف فيها ثقل على نفس الإنسان، فبدأ بحروف التنبيه ليلفت النّظر إلى أهمية وخطورة ما سيأتي بعدها من الآيات[3].

ثانياً: الموضوعات التي اشتملت عليها سورة العنكبوت

اشتملت سورة العنكبوت على الموضوعات الآتية:

أولاً: الآيات (1–13): الفتنة سنة إلهية، ولا بد من الابتلاء لإظهار صدق الصادقين، ثم التحذير من الرضوخ للفتنة حتى لو كانت من الوالدين، وبيان عدم صبر البعض أمام الفتن.

ثانياً: الآيات (14–40): قصص الأنبياء وكيف واجهوا الفتن وجاهدوها، ومن ذلك قصة نوح، وإبراهيم، ولوط، وشعيب، وهود، وصالح، وموسى عليهم جميعا أفضل الصلاة وأتمّ التسليم.

ثالثاً: الآيات (41–55): تشبيه حال عبادة الأصنام بحال بيت العنكبوت، والأمر بمجادلة أهل الكتاب بالتي أحسن، وبيان مطالبهم التعجيزية، والرد عليهم.

---

[1] انظر: الزركشي، **البرهان في علوم القرآن** (194/1). النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد ت: 338هـ، **معاني القرآن**، جامعة أم القرى – مكة المرمة، ط1 1409 (209/5).

[2] انظر: ابن عاشور: **التحرير والتنوير** (20/ 199).

[3] انظر: الزحيلي: **التفسير المنير** (20/ 188).

رابعاً: الآيات (56– 63): أمر المؤمنين بالهجرة عند التضييق عليهم، واعتراف المشركين بقدرة الله تعالى، وأنه الرزاق وحده.

خامساً: الآيات (64–69): بيان حقيقة الدنيا، حتى أنّ المشركين وقت الشدة يلجأوا إلى ربنا عزوجل، وفي الرخا يشركون به، وثم يختم ببيان جزاء الذين صبروا وجاهدوا أمام الفتن[1].

ثالثاً: محور سورة العنكبوت وجوها العام

أولاً: محور السورة: التقرير لأصول العقيد، وهي الوحدانية، والرسالة، والبعث والجزاء، والتثبيت للإيمان في القلوب في جميع الأحوال، وخاصة وقت المحن، فبدأت السورة بإخبار الله لنا عن فتنة الإنسان، وانتهت بالحديث عن الهداية للمجاهدين لأنفسهم إلى أصحّ الطرق ونصرة الله لهم[2].

ثانياً: الجو العام للسورة: يتخلل السورة من البداية حتى النهاية إيقاعات قمة في القوة، وعمق في المعنى حول حقيقة الإيمان، وهذا يهز الوجدان هزاً، وتضعه أمام تكاليف الإيمان وفق خيارين، النهوض بها أو النكوص عنها، وإلا فهو النفاق الذي يفضحه الله، وهي إيقاعات لا مجال لتصورها إلا بالنصوص القرآنية التي وردت فيها[3].

الفرع الثاني: مناسبة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه بسياق سورة العنكبوت

يأتي مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه متسقاً مع محور السورة بأنّ المحور الرئيس لسورة العنكبوت الوحدانية، والرسالة، والبعث والجزاء، وتثبيت الإيمان في قلوب المؤمنين وقت المحن والابتلاءات، وبيان مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه، فقصة إبراهيم كانت شاهداً عملياً على ثبات المؤمن أمام المحن، فهو جادل قومه في بطلان عبادة الأصنام ودعاهم إلى عبادة الله وحده، مما يؤكد أصل التوحيد، كما جسّد موقفه معنى الرسالة في البلاغ والصبر على الأذى، وأشار إلى عاقبة المكذبين، فكان في ذلك تقرير

[1] انظر: قطب: **في ظلال القرآن** (5/ 2718).
[2] انظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير** (201/20). انظر: قطب، **في ظلال القرآن** (5/ 2718)، الزحيلي، **التفسير المنير**، (181/20).
[3] انظر: قطب، **في ظلال القرآن** (5/ 2719).

للبعث والجزاء، ومن ثمّ فإنّ مشهد إبراهيم عليه السلام يعد تجسيدًا حيًا للمحور الموضوعي للسورة، حيث يرسّخ العقيدة ويثبت الإيمان في القلوب عبر عرض نموذج عملي من حياة نبي ابتُلي فصبر وثبت على دعوة الحق.

المسألة الأولى: علاقة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه بسياق سورة العنكبوت

أولاً: آيات مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه الواردة في سورة العنكبوت.

سلطت آيات المشهد الضوء حول عرض الأدلة على الأصول الثلاثة: الوحدانية والرسالة والبعث، قال تعالى: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأَخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾. [العنكبوت: 16-26].

وهنا دعاهم إبراهيم إلى عبادة الله وأن يتقوه، وأخبرهم بأنّ ذلك خير لهم، ذاكراً ثلاثة أدلة على فساد عقيدتهم، أولها: أنّهم يعبدون الأوثان، وثانيها: أنّهم لا دليل عندهم لهذه العبادة، وثالثها: أنّ هذه الأوثان لا نفع بأي شيء، وبعد ذلك يوجههم إلى الله ليطلبوا منه الرزق، وهذا الأمر يشغل النفس، وفي النهاية يقودهم إلى الرزاق، ليعبدوه ويشكروه، وأنه لا مفر لهم من الله، وهذه الخطوات يجب أن يتبعه كل أصحاب الدعوات، فهو نموذجا لطريقة الدعوة[1].

وبعد بيان الأصل الأول والاستدلال عليه وهو التوحيد، والإشارة إلى الأصل الثاني وهو الرسالة، بدأ ببيان الأصل الثالث وهو يوم البعث والنشور، وهذه الأصول الثلاثة متلاصقة لا يمكن أن ينفصل ذكرها عن بعض في البيان الإلهي.

ومن ثم يتحدث عن الله الذي لا يعجزه أي شخص سوءا كان من أهل السماوات أو الأرض، ولا حتى يقدروا على الهرب من قضائه، فالبشر ليسوا بجاعلين الله عاجزاً عن إدراكهم في أرضه وسمائه، وهنا رأت الباحثة أن تذكر إشارة سريعة لاستخدام كلمة السماء في هذه الآية، وهي: أنّ سياق سورة العنكبوت هو الدعوة إلى التدبّر في العلم والبحث، وهذا هو الذي يوصل إلى السماء، فالسمة التعبيرية للسورة أنهم سوف يصعدون إلى السماء لكنهم لن يكونوا معجزين[2].

وبعد التوسع في البيان لهذه الأدلة على المعاد، وقدرة الله الفائقة التصور، والتوحيد، هدّد وتوعد كل من خالف من الكفار، وذكر الذين أنكروا آيات الله ودلائل وحدانيته وما أنزله على رسله من الأدلة المرشدة إلى ذلك، وكفروا بالمعاد ولقاء الله في الآخرة، فهؤلاء لا نصيب لهم من رحمة الله، بسبب ما اقترفوه من العناد والكفر، ولهم عذاب شديد في الدنيا والآخرة، وتكرار "أولئك" في الآية لتدل على أنّ اليأس والعذاب لا يوجد إلا في الكفار، وقد أضاف اليأس إليهم بقوله: "أولئك" يئسوا فلو دعوا الله أن يرحمهم لأنزلها عليهم، ثم إنه

[1] انظر: قطب، **في ظلال القرآن** (5/ 2729).

[2] لمسات بيانية في نصوص من التنزيل – محاضرات (ص: 834، بترقيم الشاملة آليا)

تعالى أضاف الرحمة لنفسه "رحمتي" لبيان لزومها له وعمومها لهم، ولم ينسب العذاب لنفسه لاختصاصها بالكافرين.

وبعد أن جاء إبراهيم عليه السلام بالأدلة لقومه على توحيد الله والبعث والحشر، وأمرهم بالعبادة لله تعالى فقط، كما ونذّد أيضا بعبادة الأوثان، وعندما لم يكن عندهم أي جواب على هذا الكفر لجأوا إلى استخدام أسلوب القوة، فقرروا وضع إبراهيم عليه السلام في النار لإحراقه، لكن الله جعلها برداً وسلاماً عليه، وعندما نجّى الله إبراهيم عليه السلام من النّار، كان كل ذلك إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على وجود الله وقدرته، لكن ذلك فقط للقوم الذين يصدقون بالله إذا ظهرت لهم الأدلة والبراهين، وإنّه من السوء أن يدعوا إبراهيم قومه ويقابلوه بالشر عندما أراد لهم الخير والهداية والحق، ولكنّ قدرة الله أقوى من كل البشر وكيدهم، فجعل النّار التي تكون بالعادة حارقة برداً وسلاماً عليه، ثم ذكر ربّنا الجواب الحق، ووبخ قومه على سوء ما صنعوه من عبادة الأصنام، فكان ما فعلوه مثل اتفاق أهل المذاهب والأهواء على شيء يربطهم، ويكون سبب لهذا التجمع والتآلف، ولكن الفرق أنّ الأوثان لا تضر ولا تنفع، وهذه المودة تكون فقط في الدنيا، ولكن في الآخرة يحصل بينهم نفور وتباعد، ويكفر بعضهم ببعض، ويتبرأ القائد من كل شخص اتبعه، لكن الأتباع يكونون في غاية الغضب، فيكون مصيرهم النار، ولن يجدوا وقتها ناصراً ينصرهم، ولا منقذاً ينقذهم من هذا العذاب الذي سيقع عليهم، وذلك بخلاف المؤمنين فيعفوا بعضهم عن بعض، وبعد ذلك ذكر ربّنا أنّ لوطا فقط من آمن بإبراهيم وصدّق به، ونجّى إبراهيم عليه السلام[1].

ثانياً: علاقة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه الوارد في سورة العنكبوت بما سبقه من الآيات

سُبق مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه في سورة العنكبوت بذكر الأدلة على وحدانية الله، والرسالة، والبعث، والآيات التي سبقت المشهد متمثلة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ

[1] انظر: الزحيلي، **التفسير المنير** (20/ 215).

سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾﴾. [العنكبوت: 14-15].

وهي آيات توضح حال نوح عليه السلام ومآل قومه؛ فهو أوّل نبيّ أُرسِل إلى قومه الكافرين، غير الموحدين لله، فاستمر معهم وأقام ألف سنة إلا خمسين عاماً، فدعاهم إلى التوحيد لله وعبادته، وكذلك الإيمان بيوم القيامة، لكنهم كذبوا بإبراهيم عليه السلام، ولم يؤمن به إلا القليل، وذكر هؤلاء الرسل ليؤكد على أنّ الابتلاء سنة الحياة، وذلك كما في بداية السورة[1].

ووجه المناسبة أولاً: الانتقال من خبر نوح إلى خبر إبراهيم؛ لأنّ كيفية نجاة نوح عليه السلام من الماء كانت مثل نجاة إبراهيم عليه السلام من النار، وذلك فيه تنبيه عظيم على قدرة الله[2].

ثانياً: إنّ إبراهيم عليه السلام آمن له لوط أما نوح عليه السلام فكانوا أصحاب السفينة، وكلاهما كان الابتلاء من نصيبهما فصبرا، وكلاهما كان قومها يتصفان بالعناد، والاستكبار.

ثالثاً: أنّ فترة رسالة نوح التي قام فيها بالدعوة كانت ألف سنة إلا خمسين عاماً، فعدد الناس في ذلك الوقت لم يكن كثيرا، فعوض الله هذا الجيل بكثرة العدد طول العمر، لتعمر الأرض وتمتد الحياة، فعندما يكثر الناس وتعمّر الأرض تصبح الأعمار قصير فلا يوجد أي داع لطولها، وإبراهيم عليه السلام حاول هداية قومه، ولكنه لاقى الطغيان والضلال، مع أنه جادلهم بالدليل والحجة[3].

رابعاً: قصة نوح تذكر بشكل موجز، أما قصة إبراهيم فذكرت بشكل مفصل، والإيجاز في قصة نوح عليه السلام ذُكر فيها مدة الدعوة، وطريقة زوال المعاندين لدعوته وهو الطوفان، وإنجاء الله نوحاً عليه السلام، في المقابل بسط إبراهيم عليه السلام الأدلة على وحدانية الله، وإنجاء الله لإبراهيم، وتوعدهم بالعذاب يوم القيامة.

---

[1] انظر: الزحيلي، **التفسير المنير** (20/ 213).

[2] انظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير** (20/ 224).

[3] انظر: قطب، **في ظلال القرآن** (5/ 2727).

وكل هذا فيه دروس وعبرة للقابضين على دينهم في هذا الزمان، وما يلاقوه من فتن وحملات كبيرة، فالمتتبع لهذه القصص تهون عليه الكثير من معاناتهم بسبب تمسكهم بدينهم وعملهم به.

ثالثاً: علاقة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه بالآيات اللاحقة في سورة العنكبوت

إنّ دعوة لوط لقومه بترك الفاحشة والرجوع إلى الله قابلها قومه بإيقاع العذاب، قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [العنكبوت:28].

وفي هذه الآيات الخروج من الفطرة، والفساد في التركيب النفسي والتركيب العضوي، ولم يسبق قوم لوط مثل هذه الفاحشة أحد[1].

وفيما يتعلّق بالمناسبة بين مشهد قصة إبراهيم عليه السلام والآية التي تتحدث عن قوم لوط، فهي أنّه بعد ذكر الله لقصة إبراهيم ذكر قصة لوط عليهما السلام، لأنّه كان قريباً من زمن إبراهيم، ولم يذكر في قصته هنا دعوته إلى التوحيد كسائر الأنبياء، وإنّما اقتصر على ما اختص به لوط وهو المنع من الفاحشة، واختصّ لوط بالمنع من عمل قومه الفاحش، فلما يئس منهم، دعا ربه، فاستجاب له ونجى الله من صدق وآمن به، وأهلك قومه بسبب الكفر بالله والفحش العظيم الذي اقترفوه[2].

فتجلّى هنا البعد الأخلاقي حيث أصبحوا معروفين بفعل الفاحشة في دعوة لوط عليه السلام، لانتفاء العقيدة السليمة، وهكذا ابتلي لوط بقومه، فكان عناد قوم لوط في إصرارهم على الفاحشة كعناد قوم إبراهيم في إصرارهم على عبادة غير الله تعالى، وكذلك تشابها في النجاة، حيث نجى لوط عليه السلام وإبراهيم كذلك، وأيضا انتقل من رسالة إبراهيم إلى قومه إلى رسالة لوط لأنه شابه إبراهيم في النجاة من العذاب، والقول في صدر هذه الآية كالقول في آية: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾[العنكبوت: 16] في الآية السابقة[3].

---

[1] انظر: قطب، **في ظلال القرآن** (5/ 2733).

[2] انظر: الزحيلي، **التفسير المنير** (20/ 230).

[3] انظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير** (20/ 239).

ويذكر ابن عاشور أنّ قوله تعالى على لسان لوط عليه السلام وهو يخاطب قومه: حيث أنهم يأتون بالفاحشة وذلك لم يكن في أي عهد سابق، وكذلك الأمر في ائتنا بعذاب الله للتعجيز وهو يقتضي أنه قام بإنذارهم أثناء دعوته، ولم يتقدم ذكر ذلك في قصة لوط فيما مضى لكن الإنذار من شؤون دعوة الرسل، وكذلك لم يأت في قصة لوط عليه السلام أنه دعا قومه إلى عبادة الله تعالى كما جاء في قصة إبراهيم وقصة شعيب الآتية؛ لأن لوطاً كان من قوم إبراهيم وفي زمانه، وقد سبقه إلى الدعاء لعبادة الله تعالى وتوحيده، واشتهر أمره عند الناس، فذكر لوط عليه السلام لما اختص به من منع قومه من الفاحشة، وأما إبراهيم وشعيب عليهما السلام فجاءا بعد أن انتهى من كان يعبد الله عز وجل ويدعو إليه سبحانه، فلذلك كل منهما دعا قومه إلى العبادة لله فقط[1].

وكذلك كما قال الآلوسي في كتابه أنَّه: عندما بدأ بقصة لوط قال إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ، وكذلك إبراهيم بدأ بإذ قال لقومه[2].

رابعاً: علاقة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه مع المحور العام لسورة العنكبوت

محور سورة العنكبوت هو الحديث عن الابتلاء لكل من يصدح بالإيمان، وذلك لاختبار المؤمنين والتمييز بين الصادقين والمنافقين، وذلك من خلال الصبر على الابتلاءات، وعدم التهويل في شأن قوة أي شخص من الذين يقفون في وجه المؤمنين، ويتفننون بأذاهم، ومن ثم التأكيد على النصرة للمؤمنين الصابرين، وأخذ الله لكل من أساء، والابتلاء سنة الله التي من عهد نوح عليه السّلام، وهي مرتبطة بالطبيعة لهذا الكون، فلا تتبدل ولا تتغيّر[3].

ومشهد قصة إبراهيم عليه السلام في سورة العنكبوت يُعتبر نموذجاً حقيقياً يؤكد على ما دار عليه محور سورة العنكبوت، حيث إنّ مشهد قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام فيه دلائل على الأصول الثلاثة، الإيمان

[1] انظر: الألوسي، شهاب الدين محمود: **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار الكتب العلمية–بيروت، ط1، (10/ 358).
[2] انظر: الآلوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** (10/ 358).
[3] انظر: قطب، **في ظلال القرآن** (5/ 2744).

بالوحدانية والرسالة والبعث، ومحور السورة فيها الصبر والثبات على الابتلاءات كما قال تعالى في بداية السورة[1]، وهذه الأصول هي ما يُنازع عليها الطغاة والظالمون الرسل والدعاة عليها.

وفي نهاية الحديث عن قصة إبراهيم عليه السلام تكون قد تكشّفت لنا ملامح القدوة في شخصية المؤمن التي ينبغي أن تكون عليها من الالتزام بالإسلام؛ لذا فإنّ شخصيته تعتبر رمزاً من رموز التوحيد لله عزّ وجل، وكيف أنّ الدعوة إلى الله فيها الكثير من الابتلاءات، ويتحتم على المؤمنين أن يصبروا ويثبتوا، كما صبر الأنبياء والرسل على قومهم وهم يدعون إلى الله عزّ وجل وإلى الإيمان به؛ فمحور السورة قائم على الإيمان بالله عزّ وجل، وتتمثّل العلاقة بين قصة إبراهيم عليه السلام مع المحور في الصبر على الأذى الذي هو جزء أساسي في الطريق إلى الإيمان.

المطلب الخامس: مناسبة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه بسياق سورة الصافات وموضوعاتها ومحورها العام

الفرع الأول: بين يدي سورة الصافات، وموضوعاتها ومحورها العام

أولاً: بين يدي سورة الصافات:

سورة الصّافّات مكيّة وآياتها ثنتان وثمانون ومائة، قصيرة الفواصل[2]، ترتيبها في القرآن 37 في الجزء الثالث والعشرين.

وسميت سورةَ الصّافات لأنها أقسمت بالصّافات وهم الملائكة الأطهار الذين يصطفّون في السماء كما يصطفّ الناس في الصلاة[3].

[1] انظر: الزحيلي، **التفسير المنير** (20/ 211).
[2] انظر: الزركشي، **البرهان في علوم القرآن** (193/1).
[3] انظر: الزحيلي: **التفسير المنير** (23/ 60).

ثانياً: الموضوعات التي اشتملت عليها سورة الصافات

أولاً: الآيات (1–10): افتتحت سورة الصافات بالقَسَم، حيث أقسم الله بالملائكة التي تكون في السماء تصطفّ للعبادة كما يقف الناس في الصلاة، والملائكة تكون بانتظار أوامر الله تعالى، وترتيبهم يكون في الصفوف بحسب كل شخص ومرتبه في الفضيلة والتقدّم ، وذكرت الآيات صفات الملائكة، وإعلان وحدانية الله وتزيين السماء بالكواكب.

ثانياً: الآيات (11–37): إثبات المعاد والحشر واليوم الآخر يوم القيامة، وجاءت بالبراهين والأدلة، حيث أشارت إلى الجنّ والمطاردة بالشُّهب التي تكون مرصودة لهذا الغرض، وذلك لترد على المشركين الذين ادعوا أنّ هناك قرابة ونسب بين الله تعالى وبين الجنّ.

ثالثاً: الآيات (38–64): بينت أحوال الكافرين يوم القيامة وما هم عليه من سوء، وذكرت الحوار الذي دار بين المؤمنين وبين الكافرين عندما كانوا في الحياة الدنيا، ثم بيّنت جزاء كل منهم، فالمؤمن مصيره أن يخلّد في الجنة، والكافر يخلّد في النار، وكل ذلك ليبين العاقبة وليعتبر الجميع.

رابعاً: الآيات (75–148): التذكير الموجز بقصص بعض الأنبياء السابقين، وفصّلت قصة إبراهيم ويونس عليهما السلام.

خامساً: الآيات (149–189): تفنيد عقائد المشركين وختمت السورة بوصف الملائكة بأنهم الصّافون المسبّحون، وبينت النصرة من الله للأنبياء والأولياء في الدنيا والآخرة، وسلام الله على المرسلين ومدحهم، وتنزيه الله عن أي وصف قام به المشركون، وثناؤه على نفسه وأنه رب العزّة، وتنزيه الله سبحانه والتسليم على رسله والاعتراف بربوبيته[1].

[1] انظر: الزحيلي، **التفسير المنير** (23/ 61–62). انظر: قطب، **في ظلال القرآن** (5/ 2982).

ثالثاً: محور سورة الصافات وجوّها العام:

أولاً: محور السورة: التوحيد، وإثبات البعث والجزاء، والوحي والنبوة، وقد تحدثت عن أمور غيبية، مثل: والجنّ، والملائكة، والجزاء في الآخرة والبعث.

وكذلك بناء العقيدة في النفوس، وتخلصها من أي شائبة مثل: الشرك في كل صوره وأشكاله، ولكنها بصفة خاصة تعالج صورة معينة من الصور للشرك التي كانت سائدة في بيئتهم الأولى.

ثانياً: الجو العام للسورة: تتميز بأسلوب بلاغي خاص، وهي أنّ فواصلها قصيرة، وإيقاعاتها صغيرة، ومشاهدها كثيرة، وصورها متنوعة، ومؤثراتها كذلك عميقة، وتأثيرها عنيف[1].

الفرع الثاني: مناسبة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه وعلاقتها بسياق سورة الصافات ومحورها

المسألة الأولى: مناسبة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه بسياق سورة الصافات:

يعدّ التعرّف على الله وما تستلزمه هذه المعرفة هو الشيء الذي يصب فيه سياق السورة الرئيسي[2].

أولاً: آيات مشهد قصة إبراهيم مع قومه في سورة الصافات

في هذا المشهد تتحدث الآيات عن إبراهيم عليه السلام في دعوته لقومه وتحطيمه لأصنامهم، وجاء ذلك في قوله تعالى: ﴿۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ٨٣ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ٨٤ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ٨٥ أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ٨٦ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٧ فَنَظَرَ نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ ٨٨ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ ٨٩ فَتَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ مُدۡبِرِينَ ٩٠ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ٩١ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ٩٢ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ٩٣ فَأَقۡبَلُوٓاْ إِلَيۡهِ يَزِفُّونَ ٩٤ قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ٩٥ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦ قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ٩٧ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ٩٨ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٩٩﴾. [الصافات: 83-99].

---

[1] قطب: **في ظلال القرآن** (5/ 2980).

[2] انظر: حوى، سعيد: **الأساس في التفسير**، دار الإسلام، ط6، (8/ 4679).

تشير آيات المشهد إلى ما تمتع به إبراهيم عليه السلام من قلب سليم استحق بذلك الفوز والرضوان من الله عزّ وجل، وكذلك تحدثت الآيات عن إنكار إبراهيم عليه السلام على قومه عبادة الأصنام، وقوله لهم بأنّه سقيم، فقد كان مهموماً، كما أنّه قال ذلك حتى يتسنى له تحطيم الأصنام، فحاول قومه إحراقه، ونجاه الله من النار، ثم بعد ذلك انتقل إلى مرحلة أخرى، وهي الهجرة تاركاً وراءه كل شيء من ماضي حياته، حيث إنّه يعبر عن التجرد والاستسلام والطمأنينة واليقين[1].

فأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر جليٌّ في هذا الموقف أيضاً، فعبادتهم للأصنام بعد نحتها وصناعتها، وفي المقابل نجاه الله من كيدهم وجعلهم الأسفلين.

ثانياً: علاقة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه بما سبقه من الآيات في سورة الصافات

سبقت آيات المشهد آيات تتحدث عن نوح عليه السلام، وفيها لجوء نوح عليه السلام إلى ركن الله بعد أن أصابه الكرب العظيم من قومه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ۝٧٥ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٦ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ۝٧٧ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ۝٧٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٩ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٨٠ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٨١ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ۝٨٢﴾ [الصافات: 75-82].

والآيات التي سبقت المشهد فيها إشارة لبيان عاقبة الظالمين، وتقرر عناية الله بعباده المخلصين، فتوجّه نوح منادياً ربه، والله أجاب دعوته، وتتضمن نجاته هو وأهله من الكرب الذي أصابهم؛ والذي نجى الله من أراد أن ينجيه منه، وتتضمن قدر الله بأن يجعل من ذريّة نوح خلفاء لهذه الأرض، وأن يبقى ذكره في الأجيال الآتية إلى آخر الزمان، ثم بعد ذلك نقلة من نوح إلى إبراهيم عليهما السلام، وبينهما صلة من العقيدة والدعوة والطريق، فهو من شيعة نوح على تباعد الزمان بين الرسولين والرسالتين ولكنه المنهج الإلهي الواحد، الذي يلتقيان عنده ويرتبطان به ويشتركان فيه[2]، وهي وحدة الرسالة والدعوة.

[1] انظر: قطب: **في ظلال القرآن** (5/ 2994).

[2] انظر: قطب، **في ظلال القرآن** (5/ 2991).

ومناسبة ورود قصة سيدنا إبراهيم بعد قصة نوح عليه السلام والعلاقة بينهما أنّها تعتبر قصة ثانية وتبين مدى الصلة والارتباط بين الأنبياء في الرسالات التي أمرهم الله بها، فافتتحت بإبراهيم عليه السلام حيث إنّه كان من شيعة نوح، وأهل بيته وعلى دينه ومنهاجه، فكلاهما لا يأتون إلا بالسعادة والخير للناس، فكانت قصة إبراهيم أبي الأنبياء بعد قصة نوح أبي البشر الثاني عليهما السلام، فنجى الله نوح من الغرق، وونجى إبراهيم من النار التي أُلقِيَ فيها[1].

ووجه المناسبة بالنسبة لذكر قصة نوح ثم إبراهيم عليه السلام تتمثّل بعدة جوانب، منها: أنّ نوحاً عليه السلام أتى بالرسالة نفسها التي جاء بها إبراهيم عليه السلام، وهي التوحيد والعبودية لله عزّ وجل.

كما أنّ الله نجى نوحاً عليه السلام من الغرق، نجّى إبراهيم من النار، وكذلك جزى الله نوحاً عليه السلام بأن جعل ذكره حسناً فيمن أتى بعده من الناس، وإبراهيم عليه السلام جزاه الله بأن بشره بغلام حليم.

ومن أوجه المناسبة أنّ نوحاً عليه السلام كان من المُخْلِصين في عبادة الله، وكذلك كان إبراهيم عليه السلام.

وهي نماذج توضع بين يدي نبيّنا صلى الله عليه وسلّم، مما يواجهه من قومه، فقد لاقى نوحٌ وإبراهيمَ عليهما السلام أصناف العذاب والشدة، فنجّاهما الله تعالى، وردّ كيد الظالمين للعبرة والعظة والمواساة.

ثالثاً: علاقة "مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه" بالآيات اللاحقة في سورة الصافات

إنّ موضوع الآيات اللاحقة لمشهد إبراهيم مع قومه هو دعاء إبراهيم عليه السلام، وبشارته، وتسليمه الخالص لأمر الله تعالى، فبعد سرد مشهده مع قومه ينقلنا القرآن إلى ما بعد ترك قومه واستقراره، قال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الصافات: 100-102].

[1] انظر: الطبري، **جامع البيان** (61/21). انظر: الزحيلي، **التفسير المنير** (23/ 110).

"وبعد أن انتهت قصة إبراهيم مع قومه وأرادوا به سوءاً ونجّاه الله تعالى، تأتي المرحلة الأخرى وهي الهجرة، حيث يترك كل شيء وراء ظهره وكل ما يربطه بأهله ووطنه، يهاجر إلى ربه، مستسلماً لله، موقناً أنّ الله سيهديه، وسيرعاه، وسينقله إلى الطريق الصحيح. إنّه التعبير عن التجرد والخلوص والاستسلام والطمأنينة واليقين، فاتجه إلى ربه بالدعاء أن يسأله الذرية، الخلف الصالح، واستجاب الله دعاء إبراهيم عليه السلام، وبشره بابنه، ومن ثم يأمره الله بذبح ابنه، وكمية الإيمان والطاعة والتسليم من قبل ابنه"[1].

وسبب الدعاء الذي دعاه في الآيات الكريمة أنَّه بعد أن أُخبر أنه سيهاجر استشعر بالوحدة عند العزم على الرحيل؛ لأنّ الشعور بقلة الأهل عند الذهاب من الأوطان يكون أقوى؛ لأنّ الإنسان إذا كان بين قومه كان يواسي نفسه بهم، وأمّا وصفه بأنّه من الصالحين لأنّ النعمة التامة أن يكون الولد كان صالحاً، فصلاح الأبناء قرة عين للآباء، ومن الصلاح بر الأبناء للآباء.

ووجه المناسبة في ذلك: أنّ المقصود من هذا الابتلاء إثبات علو مرتبة إبراهيم عليه السلام، و إظهار طاعته لربه، فالابن عزيز على الأب، وخاصّةً إذا كان وحيداً، وقد دعى الله أن يرزقه الولد ليستمر نسله، فبعد أن استجاب الله دعوته أمره بأن يذبحه، وبذلك يكون انعدم نسله ويزول أنسه ويتولى بنفسه إعدام من أحب، وذلك بالتأكيد ابتلاء عظيم أن يبتلى الإنسان بابنه وقرة عينه، وما كان من إبراهيم إلا أن قابل أمر المولى بالامتثال، وحصلت حكمة الله من ابتلائه، وبرز هذا الابتلاء في صورة الوحي المنامي إكراماً لإبراهيم عن أن يزعج بالأمر بذبح ولده بوحي في اليقظة لأن رؤى المنام يعقبها تعبيرها إذ قد تكون مشتملة على أمور لا نعرفها، وهذا فيه مواساة لنفس إبراهيم عليه السلام عندما يتلقى هذا التكليف وهو ذبح ابنه الوحيد[2].

فالابتلاء بالولد بعد الابتلاء بالدعوة، وطلب إبراهيم الولد بعد أن ترك أهله وبلده، ما هو إلا طلب القوة المادية البشرية المشتملة بالذكورة.

---

[1] قطب، **في ظلال القرآن** (2995/5).

[2] انظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير** (23/ 147-152).

ومناسبة ذلك أيضاً، أنّه بعد أن قال سبحانه وتعالى: {فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ} أتى بما يدل بعده على حصول ما بشر به، وبلوغه سن الطاقة على العمل، ثم أتبعه بقصة الذبيح إسماعيل والفداء، ثم بشره تعالى بإسحاق نبياً من الصالحين، وجعل أكثر الأنبياء من نسلهما، وأنّ هناك من ذريتهما من يكون سباقاً للخير، ومنهم من يكون سباقاً للشر[1].

الفرع الثالث: علاقة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه مع المحور الرئيسي لسورة الصافات

يتحدث المحور العام لسورة الصافات عن إثبات وحدانية الله تعالى، وذكر دلائل كثيرة دلت على تفرد الله بصنع المخلوقات العظيمة التي لا يستطيع أي مخلوق صنعها، وهي العوالم السماوية بأجزائها وسكانها، ولا قدرة لأيّ شخص أن يتطرق في ذلك، وكذلك أنّ إثبات البعث يأتي بعده الحشر والجزاء[2]. وأنّ كلمة التوحيد هي كلمة التقوى، وهي نقطة أساسية في هذا الدين، وهي نقطة الانطلاق في دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام، وإليه ترجع العقائد الإسلامية[3].

ومشهد إبراهيم عليه السلام في سورة الصافات يعتبر نموذجاً حقيقياً يؤكد ما دار عليه محور سورة الصافات، حيث حطم إبراهيم عليه السلام الأصنام إثباتاً للوحدانية وإنكاراً للشرك.

المطلب السادس: مناسبة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه وعلاقتها بسياق سورة الزخرف ومحورها العام

الفرع الأول: بين يدي سورة الزخرف وموضوعاتها ومحورها العام

تعدّ سورة الزخرف من السور التي ذكرت إحدى مشاهد قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه، لذا ينبغي تقديم نبذة عنها، والوقوف على أهم موضوعاتها، وبيان محورها العام.

---

[1] انظر: الزحيلي، **التفسير المنير** (23/ 119).

[2] انظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير** (23/ 81).

[3] انظر: حوى، **الأساس في التفسير** (8/ 4679).

أولاً: بين يدي سورة الزخرف:

هي سورة مكية وعدد آياتها تسع وثمانون آية، وترتيبها في المصحف 43، في الجزء الخمس والعشرين، وهي من السور التي افتتحت بالأحرف المقطعة {حمَ}[1]، وسبب تسمية السورة لما فيها من التمثيل الرائع، لمتاع الدنيا الزائل، بالزخرف اللامع الذي ينخدع به الكثيرون، مع أنّها لا تساوي عند الله شيئا[2].

ثانياً: الموضوعات التي اشتملت عليها سورة الزخرف

اشتملت سورة الزخرف على الموضوعات الآتية:

أولاً: الآيات (1–9): نزول القرآن كلام الله بلغة العرب، وبيان عقاب المستهزئين بالأنبياء، ثم بيان أدلة وجود الله ووحدانيته وقدرته، واعتراف المشركين بأنّ الله هو الخالق.

ثانياً: الآيات (10–35): الردّ على شبهات المشركين، ومن ذلك: شبهة أنّ الملائكة بنات الله، وأنّ عبادة الملائكة بمشيئة الله، إلى آخره من الشبهات.

ثالثاً: الآيات (36–45): خطر الإعراض عن القرآن، وأمره صلى الله عليه وسلّم بالتمسك بالقرآن، وأنّه شرف له ولأمته.

رابعاً: الآيات (46–56): قصة موسى مع فرعون.

خامساً: الآيات (57– 66): جدال الكفار في عيسى، وأنّ نزوله آخر الزمان من علامات الساعة الكبرى، واختلاف النصارى فيه.

سادساً: الآيات (67–80): ألوان نعيم أهل الجنة، وعذاب أهل النار.

سابعاً: الآيات (81–89): تنزيه الله عن الولد والشريك، وأنّه المعبود بحق، ومالك كل شيء، وتناقض المشركين، ويظهر في كونهم يقرون أنّه الخالق ثمّ يعبدون معه غيره"[3].

---

[1] انظر: العاني، عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي ت: 1398هـ، **بيان المعاني**، مطبعة الترقي – دمشق، ط1 1382 هـ – 1965 م، (60/4). انظر: النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد ت: 338، **معاني القرآن**، جامعة أم القرى – مكة المرمة، ط1 1409، (333/6).

[2] انظر: العلوي، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي، **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، ط 1، 1421 هـ – 2001 م، (26/ 184).

[3] انظر: ماضي، محمد السيد، زوايا وخرائط سور القرآن الكريم، دار تواصل، مكتبة التقوى، (2/ 759). الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد ت: 538هـ، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي – بيروت، ط3 1407 هـ، (4/ 235).

ثالثاً: محور سورة الزخرف وجوها العام

أولاً: محور سورة الزخرف: تعرض سورة الزخرف جانباً من التحديات التي واجهتها الدعوة الإسلامية من المصاعب والعقبات، وتعرض كذلك كيف كان القرآن الكريم يعالجها في النفوس وكيف يقرر أثناء علاجها حقائق قيّمة مقابل الخرافات والجهل الذي كان قائماً في النفوس في ذلك الوقت، ولا يزال ما هو قائم في النفوس في كل زمان ومكان، وصححت هذه الانحرافات الاعتقادية وردت النفوس إلى الفطرة، ويواجههم بمنطق الفطرة الواضح، حول هذه الأسطورة[1].

وبعبارة أخرى فإنّ محور سورة الزخرف يتعلق بتثبيت أصول العقيدة الإسلامية في النفوس، أي الإيمان بالله تعالى وحده لا شريك له، والإيمان بالبعث والجزاء والرسالة والنبوة والوحي[2].

فالسورة إذاً محورها العام درء الشبهات وفق حجج وبراهين مبنية على العقل، تأصيلاً للوحدانية والنبوة والبعث والجزاء.

ثانياً: الجو العام للسورة: يتمثّل الجو العام لسورة الزخرف بِإقامة الحجة على وحدانية الله بالأدلة وتفنيد الشبهات التي أُبرزت حولها الحجج والأمثال، والترغيب والترهيب، مع الرد على شبه المعاندين بالإقناع بانحطاط ملة كفرهم، وأدمج كذلك الدلائل التي تدل على الوحدانية، ومن النعم على الناس والإنذار، وأسلوب هذه الآيات في السورة هي نسبة الكلام إلى الله تعالى عدا ما قامت القرينة على الإسناد إلى غيره[3].

وملخص ذلك أنّه ساد في سورة الزخرف جوّ القوارع والترغيب والترهيب أثناء تفنيد شبهها المعاندة بأفانيد الإقناع، لأجل بيان دلائل الوحدانية.

---

[1] انظر: قطب: **في ظلال القرآن** (5/ 3174).

[2] انظر: الزحيلي: **التفسير المنير** (25/ 113).

[3] انظر: ابن عاشور: **التحرير والتنوير** (25/ 159).

الفرع الثاني: علاقة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه بسياق سورة الزخرف

المسألة الأولى: علاقة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه بسياق سورة الزخرف

أولاً: آيات مشهد إبراهيم عليه السلام مع قومه في سورة الزخرف:

إنّ موضوع آيات المشهد متمثّل ببراءة إبراهيم عليه السلام من عبادة قومه للأصنام، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الزخرف: 26-28].

وفي هذا المشهد يتبرأ إبراهيم عليه السلام مما يعبد قومه من دون الله بشكل صريح دون مواربة أو جدال، ونجده يصرّ على ذلك حتى تركهم، ودعوة إبراهيم إلى التوحيد باقية إلى يوم الدين، وكلمة التوحيد عرفت من قبل إبراهيم، لكنّها استقرت بعد إبراهيم عليه السلام[1].

وقوله: فإنّه سيهدين على التسويف، فهو يهدين وسيهدين، فيدلّان على استمرارية الهداية في الحال والاستقبال[2].

ثانياً: علاقة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه بما سبقه من الآيات في سورة الزخرف

سبقت آيات المشهد نقضُ أباطيل الجاهلية وبيانُ تناقضات المشركين، وذمّ عبادة المشركين للملائكة، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَٰتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ

[1] انظر: البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن** (210/7).

[2] انظر: الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل** (4/ 246).

أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٢٤ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٢٥﴾ [الزخرف: 15-25].

في هذه الآيات صدرت منهم عدد من الأباطيل والتناقضات، منها نسبة الملائكة إلى الله وأنّها بنات الله، والزعم بأنّ عبادة الملائكة بمشيئة الله، وأنّ الملائكة ليسوا ذكوراً، وحجتهم في كل ذلك أنّهم مقلدون لآبائهم تقليداً أعمى، حتى ولو كان يعارض العقل، ، وعندما يصرّوا على التقليد الأعمى، ينتقم الله منهم، فيصبحون مضرباً للأمثال، ومن افتراءات المشركين في التقليد الأعمى: أنّهم قلدوا في عبادة الأصنام، ولا يقلدوا إبراهيم عليه السّلام في عقيدة التوحيد، وأنهم أطاعوا الشيطان، وابتعدوا عن كلمة التوحيد[1].

ووجه المناسبة أنّه: بعد أن ذكر الله عزّ وجل أنّ حجة هؤلاء تقليد الآباء بغير من دون دليل، يذكر فيما يأتي نموذجاً لموقف الإنسان الذي تحرر من التقليد الباطل للآباء، وذلك في شخصية إبراهيم عليه السلام بعد أن أفحم الله تعالى المشركين ورد على ادعاءاتهم، وأجابهم بنفرتهم من الإناث وضعفهم، وجهلهم بالملائكة، وذكر شبهة أنّ عبادة الملائكة بمشيئة الله، وردّ عليهم ربّنا بأنّ المشيئة لا تدل على الغضب أو الرضا، فهي ترجيح بعض الأشياء على بعض، فقد كذبوا عندما ادعوا ذلك، وليس لهم أي دليل على صحة ما ذهبوا إليه إلا تقليدهم لآبائهم من غير منطق عقلي حتى، فساروا على نهج من سبقهم في الكفر وتكذيب الرسل، فأهلكهم الله وانتقم منهم[2].

فوجب عليهم التبرأ من عبادة الأصنام كما تبرأ إبراهيم عليه السلام من عبد أباؤه من الأصنام، ثم فيها إشارة إلى الخالق الذي فطر إبراهيم عليه السلام فهو أولى بالعبادة.

وفي الختام وبعد أن أبطل ربّنا حجة المشركين عندما ادعوا التّقليد في العقائد والأصول، بيّن هذا الاعتماد بنفس أسلوب المشركين، وهو أنّ إبراهيم عليه السلام عندما تبرأ من الدين الذي كان قومه عليه تبرّأ بالعقل

[1] انظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** (763). الزحيلي، **التفسير الوسيط** (3/ 2361).

[2] انظر: الزحيلي، **التفسير المنير** (25/ 130،143)، حوى، **الأساس في التفسير** (9/ 5130)، الطنطاوي، **التفسير الوسيط** (13/ 72).

والدليل والبرهان، واتّباع الدّليل أولى من اتّباع الآباء، فكان أولى لهم تقليد إبراهيم عليه السلام، وترك التقليد للآباء، وكان أولى لهم أن يرجّحوا الدليل على تقليدهم هذا.

ثالثاً: علاقة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه بالآيات اللاحقة من سورة الزخرف

بعد سرد مشهد إبراهيم عليه السلام مع قومه جاء التعقيب الرباني الذي يمثل الآيات اللاحقة في قوله تعالى: ﴿ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الزخرف: 29-33].

ويذكر سعيد حوى في تفسير الآيات: أنّ الله أنعم على المشركين بالدنيا ومتعهم، وكان من حق هذا الإنعام أن يطيعوا محمداً صلى الله عليه وسلم بما جاء به من الأحكام، ولكنّهم أعرضوا عن ذلك وقالوا أنّ هذا سحر، والله كما أنه يجعل من يشاء غنياً ويجعل من يشاء فقيراً، فكذلك يصطفي الرسول الذي يريده، كما ويجعلهم متمايزون بالغنى والمال، فيكون أغني بماله والفقير بعمله، فيستقيم أمر العالم، وبعد أن ذكر المولى نموذجاً كاملاً للموقف الحقّ من ضلال الآباء، يرجع الحديث عن موقف هؤلاء المشركين من دعوة رسولنا الحبيب وعن الأسباب التي جعلتهم مغترين بأنفسهم ودينهم[1].

كذلك ملّة الكفر واحدة، وطريقة تعامل الكفار مع الأنبياء متعددة، لكنها تؤدي إلى شيء واحد مفاده عدم التخلي عما هم فيه من العناد والكفر.

[1] انظر: حوى، **الأساس في التفسير** (9/ 5132).

الفرع الثالث: علاقة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه بمحور سورة الزخرف

محور سورة الزخرف هو غرس الأصول للعقيدة الإسلامية في النفوس، متمثلة بالإيمان بالله تعالى فقط، والرسالة والنبوة والوحي، والبعث والجزاء.

وهي قضيّة مرتبطة بمشهد إبراهيم عليه السلام مع قومه، وموقفه منهم، حيث يقول تعالى مخبراً عن خليله التي تنسب قريش نسبها ومذهبها إليه، أنّه تبرأ من أبيه وقومه لأنهم يعبدون الأصنام ، وهذه الكلمة، وهي عبادة الله تعالى وحده، ونزع ما سواه من الأوثان، وجعلها على طول الزمان من ذرية إبراهيم يقتدي به فيها من هداه الله[1].

لذا فالسبب الرئيسي لتبرؤ إبراهيم من قومه هو تثبيت عقيدة الوحدانية وهو ما كان يدور عليه محور سورة الزخرف.

ويجد حوى أنّ الآيات تضمنّت مناقشة الله تعالى لاعتقاد قوم إبراهيم وإقامته الحجّة عليهم، وبيان سبب موقفهم وهو التقليد، فذكر بعد ذلك قصة إبراهيم عليه السلام كنموذج على التحرر من التقليد الباطل، فأتمّ بذلك المعالجة لهذا الاعتقاد الضال الذي هو أصل البلاء، وفي ذلك كله نرى كيف أنّ القرآن في غاية الوضوح والفصاحة والبلاغة، وفي غاية الحكمة في معالجة الباطل[2].

[1] انظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي ت774هـ: **تفسير القرآن العظيم**، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2 1420هـ – 1999 م، (7/ 225).

[2] انظر: حوى، **الأساس في التفسير** (9/ 5132).

الفصل الرابع

مناسبة مشاهد المرحلة الثالثة (إبراهيم عليه السلام مع أهل بيته) في السور الواردة فيها

وردت مشاهد المرحلة الثالثة من قصة إبراهيم عليه السلام مع أهل بيته في سورتين، هي: سورة هود، والصافات. ومن حيث ارتباط آيات المشهد بالسياق والسورة التي ورد فيها، قُسمت هذه المرحلة إلى ثلاثة مشاهد، مشهد إبراهيم عليه السلام مع زوجه، وإبراهيم عليه السلام مع ابنه، والدعاء، وفي هذا الفصل سيسلَّط الضوء على سورة هود وموضوعاتها.

المبحث الأول: مناسبة مشاهد المرحلة الثالثة (إبراهيم عليه السلام مع أهل بيته) بسورة هود ومحورها وجوها العام

وردت الآيات المتعلقة بالمرحلة الثالثة من قصة إبراهيم عليه السلام في سورة هود، وقبل الشروع ببيان مناسبة الآيات ومشاهدها مع السياق الوارد فيها، سيتوقف الباحث عند هذه السورة، ويبين موضوعها، ومحورها الرئيسي من خلال لمحات سريعة في مطالب:

المطلب الأول: بين يدي سورة هود وموضوعاتها ومحورها العام

ذكرت سورة هود قصة إبراهيم عليه السلام مع زوجه، وقبل البدء ببيان مناسبة مشهد إبراهيم عليه السلام مع أهل بيته لسياقاتها، لا بد من تقديم نبذة تعريفية عن سورة هود، وبيان موضوعاتها، ومحورها، وجوها العام.

الفرع الأول: بين يدي سورة هود

سورة هود مكية[1]، وعدد آياتها 123، وترتيبها في المصحف 11، ومن السور المفتتحة بالأحرف المتقطعة.

الفرع الثاني: الموضوعات التي اشتملت عليها سورة هود:

اشتملت سورة هود على الموضوعات الآتية:

أولاً: أشارت سورة هود في مقدمتها إلى ذكر مقاطع الحروف المعجزة عن حقيقة دعوة رسولنا الحبيب، وذلك في الآية الأولى من السورة.

ثانياً: ذكرت السورة تعظيم شأن القرآن وإعراض المشركين عنه والأمر بتوحيد الله وبيان فضل الاستغفار ودعوة النبي للثبات، وذلك من آية 1-12.

ثالثاً: تحدثت الآيات عن تحدّي الله للمشركين بالإتيان بعشر سور من مثل القرآن، وانقسام الناس حول القرآن إلى فريقين، وبيان جزاء كل فريق.

رابعاً: قصص بعض الأنبياء وأقوامهم: ذكرت سورة هود قصص بعض الأنبياء وهم يتلقون الإعراض والتكذيب من أقوامهم على النحو الآتي:

- قصة نوح في الآيات (25- 40): تأتي الآيات في تكذيب قومه له وإعراضهم وسخريتهم.
- الآيات (41-49): يجيء مشهد الطوفان وهلاك المكذبين ونجاة المؤمنين.
- الآيات (50-60): يذكر قوم هود في تكذيبهم له وبيان العاقبة لهم.
- الآيات (61-68): يأتي عقر الناقة والتكذيب وعاقبة قوم صالح المكذبين.
- الآيات (69-76): قصة إبراهيم عليه السلام.
- الآيات (77-82): قوم لوط الذين مسهم العذاب الأليم.
- الآيات (84- 95): يأتي تكذيب قوم شعيب، وتجيء الخاتمة بالعقاب ونجاة شعيب والذين آمنوا.

[1] انظر: ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم** (302/4).

- قصة موسى (96–99): وخاتمة هذه القصص أنّه أشار إلى قصة موسى مع فرعون، ليوضح النهاية لفرعون وقومه الذين اتبعوه، وتتضمن هذه الإشارة السربعة إيماءات كثيرة تدلّ على الوقائع للقصة التي لم يتم ذكرها هنا، وتضم كذلك مشهداً من مشاهد يوم القيامة، ويهدف ذلك إلى تقرير المبدأ الرئيسي لمبادئ الإسلام، وهو مبدأ التبعية الفردية التي لا يسقطها اتباع أي رئيس[1].
- الآيات (100–123): بيان العبرة من قصص الأنبياء، وإعلان سنّة الله في إهلاكه للظالمين، وتذكير الناس بالقيامة، وانقسام الناس إلى سعداء وأشقياء، ثم الأمر بالاستقامة ودعوة النبي للثبات على توحيد الله.

الفرع الثالث: محور سورة هود وجوها العام:

أولاً: محور سورة هود:

الثبات والاستمرارية بالدعوة رغم كل التحديات، حيث عرضت سورة هود عدداً من القصص القرآني، واشتملت مواضيع عدة تبين ملامح التحديات والدعوة إلى الاستمرار بنبذ الشرك.

الموضوعات المكّية المتعلقة بالعقيدة، وموقف المشركين منها، والقلة المسلمة التي كانت مع رسولنا الكريم، وآثار هذا الموقف في نفسه، وكيفية علاج القرآن لهذه الآثار، وكذلك الإيمان الوحي، وتوحيد الله عزّ وجل وإفراده بالعبادة، والبعث، والعقاب، والثواب، وذكرت كذلك إعجاز القرآن وآياته المحكمة، وكيف جادل القرآن المشكركين وتحداهم بلغتهم، وذكر القصص لبعض الأنبياء مع أقوامهم لتثبيت قلب رسول محمد صلى الله عليه وسلم، وختمت الآية بوصف الإسلام والقرآن ونبيّنا، والدعوة إلى الإيمان والتصديق بالرسالة التي أتى بها[2].

[1] انظر: قطب، **في ظلال القرآن** (4/ 1918–1924).

[2] انظر: قطب، **في ظلال القرآن**، (4/ 1840، 1839). ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (313/11).

ثانياً: الجو العام لسورة هود:

الجوّ الذي نزلت فيه سورة هود هو الشدة والوحشة والغربة التي ساورت رسولنا الحبيب، فنزلت تثبيتاً له، ولمن معه ممن ثبتوا على الحق، وكذلك الظروف الشديدة التي مرَّ بها النبي عليه السلام.

المطلب الثاني: مناسبة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع أهل بيته وعلاقتها بسياق سورة هود ومحورها وجوها العام

الفرع الأول: مناسبة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع أهل بيته وعلاقته بسياق سورة هود:

المسألة الأولى: آيات مشهد قصة إبراهيم عليه السلام في سورة هود

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَىٰٓ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾﴾[هود: 69-76].

إنّ المقصود برسلنا في الآيات الكريمة هم الملائكة جاءت تبشره بالولد إسحاق، وقيل: البشرى بهلاك قوم لوط وسلامة لوط، حيث لما رأى إبراهيم أنّهم لم يأكلوا من الطعام شيئا لمّا جاءهم بالضيافة بعجل أنكر ذلك منهم، ووجد في نفسه خوفاً؛ فأدرك أنّهم لم يكونوا من البشر، وربما كانوا ملائكة عذاب، لمنهم طمنوه وقالوا له لا تخف، نحن أُرسلنا لنهلك قوم لوط، ولنبشرك بغلام يسرك، ويحفظ نسلك، وهو إسحاق، ومن ذرية إسحاق يعقوب، وهو الذي كان من ذريته الأنبياء من بني إسرائيل، كذلك كانت زوجة إبراهيم عليه

السلام واقفة من وراء حجاب، حيث كانت من الممكن أنّها تنظر إلى الملائكة، أو كانت حتى واقفة تقدّم ما يلزم لضيافة الملائكة، فضحكت سروراً بزوال هذا الخوف، أو أنّها كانت مستبشرة بهلاك قوم لوط لأنها كانت تكره أفعالهم القبيحة، فجوزيَت بالبشارة بالولد، ثم ذكر الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام أنّه حتى بعد أن عرف عنهم ذلك بدأ يجادلهم بشأن قوم لوط، ومجادلته لهم هي مجادلة لأمر الله، فإبراهيم عليه السلام كان حليماً لا يتعجل في أن ينتقم من يسيء إليه، ويرجع إلى الله في كل أموره، فرقة قلبه وحلمه جعله ذلك يلجأ إلى مجادلة الملائكة، فقالت له الملائكة: أنّه جاء أمر الله لإنزال العذاب عليهم، وإنهم آتيهم العذاب لا محالة، فلا تجادل في أمرهم[1].

والغرض من هذه القصة في سورة هود: أخذ العبرة من مصير قوم لوط، فهم عندما ارتبكوا الفواحش وعصوا لوط عليه السلام أنزل الله بهم العذاب، ولم تغن عنهم مجادلة إبراهيم، وقدمت قصة إبراهيم لذلك وللتنويه بمقامه عند ربه على وجه الإدماج، ولذلك غير أسلوب الحكاية في القصص التي قبلها والتي بعدها، مثل: وإلى عاد[2].

ولما ولدت هاجر إسماعيل عليه السّلام، أصبحت زوجة إبراهيم عليه السلام الثانية تتمنّى أن يكون لها ولد، ولأنّها كبرت بالسن كانت قد يئست من أن يكون لها، فبشّرها الله تعالى بولد ويكون أيضاً نبيّاً، وكذلك يصبح لها أحفاداً[3]، بالتالي هي بشارة بالولد أو بالهلاك لقوم لوط والأول أظهر[4].

المسألة الثانية: علاقة "مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع أهل بيته" بما سبقه من الآيات في سورة هود

موضوع الآيات السابقة لمشهد إبراهيم عليه السلام مع أهل بيته ما حلّ بقوم صالح بعد أن كذبوه وعقروا الناقة، قال تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ

[1] انظر: الزحيلي، التفسير المنير (12/104-109).
[2] انظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير** (12/ 116).
[3] انظر: الزحيلي، **التفسير الوسيط** (2/ 1059).
[4] انظر: النسفي، أبو البركات: **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، دار الكلم الطيب-بيروت، (2/ 72).

فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ ٦٤ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ٦٥ فَلَمَّا جَآءَ
أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ٦٦ وَأَخَذَ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٦٧ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ
أَلَا بُعۡدٗا لِّثَمُودَ ٦٨ ﴾ [هود: 64-68].

ووجه المناسبة: أنه لَمَّا انتهت القصَّة التي قبلها على هذا الوجهِ، جاء بعدها قصة لوطٍ عليه السَّلام؛ فكانت كانت أشهر الوقائع بعدها، وقَدَّم عليها ما يتعلَّق بها مِن أمر إبراهيم عليه السَّلام وذكر بُشراه؛ لِما في ذلك كلِّه مِن التَّنبيه لِمن تعنَّت بطلب إنزال الملائكة في قَولهم : ﴿أَوۡ جَآءَ مَعَهُ مَلَكٌۚ﴾ [هود:12]، هذا مع ما في ذلك مِن مُناسبة أمر هذا الولَد لأمر النَّاقة، وذلك إشارةً إلى تمامِ القُدرةِ وكَمالِ العلم المبنيّ عليه أمر السُّورة في إحكامِ الكتاب وتَفصيلِه، وجدال نوح وإبراهيم عليهما السلام كان متناسبا؛ فكلٌّ منهما كان مُشفِقًا على من كفروا من قومهم، وكانوا يرجون الله أن ينجيهم من العذاب[1].

وهناك تشابه في النّظم بين قصة هود وقصة صالح عليهما السّلام، إلا أنّ صالحاً لما أمر قومه بالتوحيد في مساق إيراد القصة هنا ذكر دليلين على وجود الله ووحدانيته: هما الإنشاء من الأرض، وأن يعمروها[2].

ومن أوجه المناسبة أيضاً نجاة صالح ومن آمن معه برحمة من الله تعالى، وكذا أحداث مشهد إبراهيم عليه السلام وما رزقه الله تعالى كله برحمة من الله.

المسألة الثالثة: علاقة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع أهله بالآيات اللاحقة في سورة هود

موضوع الآيات اللاحقة لمشهد إبراهيم عليه السلام هو تمادي قوم لوط بفعل الفاحشة، حتى مع ضيوفهم، ولا يعلمون أنّهم الملائكة الموكلون بإنزال العذاب عليهم، وإنجاء لوط ومن آمن معه، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا

[1] انظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** (328/9).

[2] انظر: الزحيلي، **التفسير الوسيط** (2/ 1054).

جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ٧٧ وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ٧٨
قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ٧٩ قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ٨٠ قَالُواْ
يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ
أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ٨١ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا
حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ٨٢ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدِۢ ٨٣﴾ [هود: 77-83].

فالمعنى الإجمالي للآيات أنّه لما قدمت الملائكة إلى بلد لوط، بعد أن تمّ إخبار إبراهيم بهلاك قوم لوط في ليلة قريبة، وكانوا بهيئة شباب، والمعنى أنّهم عندما ذهبوا إلى لوط عليه السلام، وجاؤوا إليه كما جاءوا إلى إبراهيم عليه السلام في صورة البشر، ظنهم أشخاص مثلنا، وخاف أن يتم الاعتداء عليهم قومه بما كانوا يفعلوه، فلذلك، لم يرغب بمجيئهم، وأشار إلى ما كان قلقا منه، فلما ذهب الخوف عن إبراهيم وبشروه بالولد، وأخبروه بهلاك قوم لوط، أخذ يجادل الملائكة، وكان جداله لأنه رقيق القلب، وكثير التأوه مما يحدث للناس من مكروه، فقالت له الملائكة أن يعرض عن ذلك فقد جاء أمر الله[1].

ووجه المناسبة أنّ ما حصل مع إبراهيم حصل مع لوط، حيث قدمت عليه الملائكة وبشرته بالذرية، ونهاية قوم لوط، وأنّ العذاب واقع بهم، وفي الآيات اللاحقة استكمال المشهد، وتنفيذ ما جاءت به الملائكة من إهلاك قوم لوط.

الفرع الثاني: مناسبة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع أهله وعلاقتها بأجواء سورة هود ومحورها

يظهر مشهد إبراهيم عليه السلام في سورة هود ضمن سياق خاص يتسم بالشدة والابتلاء الذي واجهه الأنبياء مع أقوامهم، فهنا يتم استعراض قدوم الملائكة إلى إبراهيم، حاملين البشارة بهلاك قوم لوط، والبشارة

[1] انظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير** (12/ 124). الزحيلي، **التفسير الوسيط** (2/ 1062). الرازي، **مفاتيح الغيب** (18/ 377). الطبري، **جامع البيان** (12/ 494).

بالذرية الصالحة، حيث بشرته الملائكة بإسحاق ويعقوب، ويتضمن هذا المشهد جوانب متعددة من التثبيت والعزاء، فهو يربط بين مشاعر الرضا الإلهي والنصر للمؤمنين من جهة، وبين العذاب المتوقع للظالمين من جهة أخرى، ويظهر أنّ العاقبة دائماً تكون للمتقين، الذين ثبتوا على المبدأ.

ويأتي هذا المشهد ضمن الجو العام للسورة الذي يغلب عليه طابع الشدة والوعيد، لا سيما أنّ السورة نزلت في فترة حرجة من حياة النبي صلى الله عليه وسلم، فقد نزلت بعد وفاة عمه وزوجته خديجة رضي الله عنها، وفي وقت اشتد فيه الأذى من قريش على رسول الله ودعوته، وبلغت فيه الحرب النفسية والإعلامية ذروتها، خصوصًا بعد حادثة الإسراء وما أثارته من استهزاء المشركين، وارتداد بعض المسلمين، ففي تلك المرحلة شعر النبي صلى الله عليه وسلم بغربة شديدة، حتى تجمدت حركة الدعوة نسبيًا، ولم يكن هناك من يدخل في الإسلام من مكة وما حولها، في ظل هذا السياق الزمني العصيب، جاءت سورة هود كلّها لتكون رسالة تسلية وتثبيت للنبي صلى الله عليه وسلم، تحمل في طياتها دروسًا من سير الرسل السابقين، ومنهم إبراهيم، لتُظهر أنّ طريق الدعوة مليء بالابتلاءات، لكن نهايته هي النصر والتكريم، ولهذا، فإن ظهور إبراهيم عليه السلام في هذا الموضع لم يكن عابرًا، بل جاء بدقة ليعكس حكمة قرآنية تربط بين الصبر والنتيجة، ويُستشف من هذا المشهد الإبراهيمي انسجام عميق مع المحور المركزي للسورة، الذي يتجلى في قوله تعالى: {فاستقم كما أُمرت ومن تاب معك}، حيث يُعد إبراهيم عليه السلام أحد أعظم الأمثلة على الاستقامة والثبات على العقيدة في أحلك الظروف، إنّه الثبات الذي يقابله الله بالبشارة، واليقين الذي يُثمر تمكينًا. فكما ثبت إبراهيم وسط قومه المشركين، وصبر على الأذى، ووثق بوعد الله، ينبغي على النبي محمد صلى الله عليه وسلم أن يثبت ويصبر، فإنّ العاقبة حتمًا ستكون له، ولمن آمن معه[1].

[1] انظر: قطب، **في ظلال القرآن** (4/ 1841).

المبحث الثاني: مناسبة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع ابنه اسماعيل وعلاقتها بسياق سورة الصافات ومحورها

قبل البدء ببيان وجه المناسبات لا بدّ من الإشارة إلى أنّه تمّ سابقاً التعريف بسورة الصافات، وأنّ محورها الرئيس هو: بناء العقيدة في النفوس، وتخليصها من شوائب الشرك في كل صوره وأشكاله[1]، لذا سيتمّ في هذا المبحث الربط مباشرة بين قصة إبراهيم عليه السلام المتعلقة بابنه في سورة الصافات، وبين السياق العام الذي تتحدث عنه السورة، وكذلك الربط بين القصة في السورة والآيات السابقة للقصة واللاحقة للمشهد.

المطلب الأول: مناسبة "مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع ابنه إسماعيل" بسياق سورة الصافات

المسألة الأولى: ذكر آيات المشهد لقصة إبراهيم مع ابنه في سورة الصافات:

موضوع المشهد يتمثّل بالطاعة المطلقة والتسليم التامّ من قبل إبراهيم وولده لله عزّ وجل، وهو متمثل في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [الصافات: 99-107].

وفي هذا المشهد تتجلى الروعة في الإيمان والطاعة والتسليم، فإبراهيم هاجر من الوطن وليس له أهل ولا قرابة، رزقه الله بغلام عند كبره، وعندما بدأ يكبر ويرافقه في الحياة، رأى في المنام أنه يذبحه، ويدرك أنّها إشارة من ربه ليذبحه، فهو لا يتردد، فيلبي ويستجيب دون أي اعتراض، ومن الجميل أن نَطّلِع على هذا الموقف من حياة إبراهيم، وفي حياة البشر جميعهم، وحقّ لنا أن نطّلع على سياق القصة في القرآن أمام هذا المثال الذي يعرضه الله للأمة المسلمة من حياة إبراهيم عليه السلام، فالأمر أنّه يجب أن يفعل ما

[1] انظر: قطب، **في ظلال القرآن** (5/ 2980).

يريده الله، وابنه ينبغي أن يعرف ذلك أيضاً، وأن يأخذ الأمر بالتسليم لله، وليس لأنه مجبورٌ على ذلك؛ حتى ينال هو أيضاً أجر الطاعة، وليتذوّق حلاوة التسليم لأمرالله ، فنرى أدبه مع الله، ومعرفة طاقته في الاحتمال والاستعانة بالله على الضعف، ونسبة الفضل لله فقط لأنّه أعانه على التضحية[1].

المسألة الثانية: علاقة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع ابنه اسماعيل بالآيات السابقة في سورة الصافات

سبق مشهد إبراهيم عليه السلام مع ولده اسماعيل وتسليمه لله تعالى مشهد تحطيم إبراهيم عليه السلام الأصنام وإعراض قومه عن دعوته، وأنّ مصيرهم كان مثل قوم نوح إلى أن خسروا ونالوا العقاب الشديد، وحصلت النجاة لإبراهيم عليه السلام من النار التي ألقي فيها، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾. [الصافات: 85-98].

وفي العلاقة بين مشهدي إبراهيم عليه السلام يظهر لنا بعض من مظاهر حياته، الحياة الدعوية وما فيها من شدة وثبات، ومن ثم الحياة العائلية وما فيها من نعم، وبعد أن تأمّل إبراهيم عليه السلام، وقال لقومه بأنّه مريض، وبعد أن ذهبوا حطم الأصنام، ثم توعد قومه له بإلقائه في النّار، لكنّ الله أنقذه منها وجعلها برداً عليه وسلاماً، وبعد أن أصابه اليأس منهم، هاجر إلى بلاد الشام، وهذه هي المحنة لإبراهيم بعد المحنة في إلقائه في النّار، وكلاً منهم في غاية القسوة والاختبار من المولى[2]، ثم بعد النّجاة من النار، ينتقل السياق القرآني إلى جانب آخر من حياة إبراهيم عليه السلام، حيث يدعو الله أن يرزقه ذرية صالحة،

[1] انظر: قطب، **في ظلال القرآن** (5/ 2994).

[2] انظر: الزحيلي، **التفسير الوسيط** (3/ 2181).

وذلك يعكس جانبًا إنسانيًا عميقًا في حياة النبي، حيث يسعى للحصول على نعمة الذرية بعد أن أثبت إيمانه وثباته[1].

ومن وجه آخر هو تكريم الله تعالى لصبر إبراهيم وثباته، والحليم هنا هو إسماعيل عليه السلام، الذي سيحمل في نفسه صفات الحلم والصبر كوالده[2].

ومن أوجه المناسبة أن ما يريده الله هو المقصد، وما عدا ذلك فهو إلى زوال، فلقد أرادوا بإبراهيم الهلاك في النار، وأراد الله أن يكونوا هم الأسفلين ونجى الله تعالى إبراهيم عليه السلام من هذا الكيد العظيم، وبعد ذلك انتقل إبراهيم من هذه المرحلة في حياته إلى مرحلة جديدة، وهاجر إلى ربه، وهي هجرة نفسية قبل أن تكون انتقالا من المكان، حيث يترك فيها كل ماضيه، ويهاجر إلى ربه، وهو شديد الإيقان أن الله سيهديه الطريق المستقيم، أما المناسبة بين المشهدين، فهناك ترابط عميق بين مواجهة إبراهيم عليه السلام لقومه ودعوته للتوحيد، وبين علاقته بأسرته وتلقيه البشارة بالذرية الصالحة، فالأولى تمثل الجانب العام لدعوته وتحمله للمشاق في سبيل نشر التوحيد، أما الثانية: تمثل الجانب الشخصي والأمل في استمرار الرسالة من خلال ذريته[3].

فالتتابع في السورة من المشهد العام إلى الخاص يعكس مكافأة الله لنبيه، حيث إنّ صبره على الأذى وتوكله على الله يقابله بركات دنيوية وأخرى معنوية، والتوكل على الله في الدعوة يقابله التوكل عليه في الحصول على الذرية، وكلاهما يبرز الجانب الإنساني العميق في شخصية إبراهيم عليه السلام.

وقد بسط الرازي رحمه الله القول في المناسبة من المشهدين مبرزاً الجانب الإنساني في شخصية إبراهيم، فيقول: إنَّ قصة إبراهيم عليه السلام في سورة الصافات تعكس الثبات على الدعوة والصبر، وتبرز الجانب الإنساني لإبراهيم كأب يتمنى الحصول على ذرية صالحة، والانتقال بين المشهدين في السورة يوضح

[1] انظر: القرطبي، **جامع البيان في تفسير القرآن**، 2006، 113/15.
[2] انظر: قطب، **في ظلال القرآن** (5/ 2995).

العلاقة بين الدعوة العامة والإيمان الشخصي، وأنَّ الله يكافئ من يثبت على الطريق الصحيح، ومن خلال التحليل للآيات، نستطيع أن نفهم أبعاد هذه القصة وأثرها على تعزيز مفاهيم التوحيد والإيمان، وكذلك البشارة بأنّ إسحاق من الأنبياء والصالحين، ومعناه أنّه بشّره بكونه نبياً من الصالحين، وذِكر هذه البشارة عقب الحديث عن تلك القصة يدلّ على أنّ الله تعالى بشّره بهذه النبوة لأنه تحمل هذه المحن في قصة الذبيح، بالتالي يثبت لنا أنّ أول الآية وآخرها يدلّ على أنّ الذبيح هو إسحاق عليه السلام[1].

المسألة الثالثة: علاقة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع ابنه اسماعيل بالآيات اللاحقة له في سورة الصافات

تتحدث الآيات اللاحقة لمشهد إبراهيم عليه السلام مع ولده اسماعيل عن البشارة الثانية بولده إسحاق عليهما السلام، وهي متمثلة بقوله تعالى: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [الصافات:108-119].

ووجه المناسبة أنّ نعم الله تعالى متتابعة جزاءً لمن ثبت، وهنا تعقيبات على الامتثال لأمر الله، وأنّ هذا جزاء الإيمان، وتلك الحقيقة فيما كشف عنه البلاء المبين، ثم يتفضل الله تعالى مرة أخرى عليه، ويهب له إسحاق في كبره، ومن ثم الذرية من بعدهما، ولكن الوراثة لهذه الذرية وراثة الدين والمنهج، وليست وراثة الدم والنسب، فقد أحسن من اتبع، ومن لم يتبع هذا المنهج فقد ظلم نفسه، فلا ينفعه أي نسب[2].

[1] انظر: الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير** (26/ 348).

[2] انظر: قطب، **في ظلال القرآن** (5/ 2997).

وأيضاً ينتقل الحديث من قصة إبراهيم عليه السلام إلى قصص موسى وهارون عليهما السلام، وهناك تشابه كبير بين الموقفين في كيفية تعامل الله مع أنبيائه وحفظهم ونصرهم، ففي قصة موسى وهارون يذكر الله النعم التي منحها لهما، من النجاة من الكرب العظيم، والنصر على الأعداء، وأنّه أعطاهما الكتاب المستبين، وهداهما إلى الصراط المستقيم، وذكرهما في الآخرين، وكذلك مناسبة مشهد إبراهيم بالمشهد اللاحق، فيظهر القرآن الكريم التعاقب الزماني والمكاني في سرد قصص الأنبياء ليظهر وحدة الرسالة الإلهية عبر التاريخ، وكل نبي يواجه تحديات، ويثبت على الحق، والله يكافئهم بالنجاة والنصر، وهذا التعاقب يعزز الثقة في وعد الله بنصرة الحق وأتباعه[1].

"كما أنّه في كل من قصص إبراهيم وموسى وهارون، نجد الثبات على الدعوة رغم التحديات الكبيرة، وإبراهيم عليه السلام يواجه قومه بتدمير الأصنام، وموسى وهارون يواجهان فرعون وجنوده، وفي كلتا الحالتين، يكافئ الله ثباتهم بنصر عظيم"[2].

"كما أنّه في كلا المشهدين يظهر كيف أنّ الله ينقذ أنبياءه من الكرب العظيم، وإبراهيم يُنجيه الله من النار، وموسى وهارون يُنجيهما من بطش فرعون، وهذا يشير إلى أنّ الصبر والإيمان بالله يؤديان إلى النجاة"[3].

" كذلك بعد النجاة والنصر، يعطي الله الأنبياء الكتاب والهداية، وإبراهيم عليه السلام يُبشر بغلام حليم الذي سيحمل الرسالة من بعده، وموسى وهارون يُعطيان الكتاب المستبين والهداية للصراط المستقيم، وهذا يعزز فكرة أنّ الله يواصل توجيه وإرشاد البشرية عبر رسله وأنبيائه"[4].

بالتالي نستطيع القول أنّ الله امتن على الأنبياء نعماً كثيرة بسبب ما بذلوه من الجهد والتضحيات؛ لينشروا هذا الدين العظيم، وويصلحوا به الناس، ومن هؤلاء الأنبياء الصفوة: هارون وموسى عليهم السّلام، وكانت مكافأة الله لهم: أن جعل لهم مكانة عظيمة، ونجاهم من المحن، ونصرهم على من سوّلت له نفسه

[1] انظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن** (93/21)

[2] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** (63/7).

[3] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن** (97/15).

[4] قطب، **في ظلال القرآن** (5/ 2990).

معارضتهم، وهداهم إلى الطريق الحقّ، وأنّ السمعة الحسنة بقيت حتى آخر الزمان، وكذلك يجزي الله كل من أحسن وأخلص له عزوجل[1].

المطلب الثاني: مناسبة "مشهد قصة إبراهيم عليه السلام مع ابنه اسماعيل" بأجواء سورة الصافات

تُعتبر سورة الصافات من السور التي تحمل رسائل قوية حول التوحيد ونبذ الشرك، مع التركيز على قصص الأنبياء والدروس المستفادة من ثباتهم على الدعوة وصبرهم على الابتلاءات.

وسورة الصافات واحدة من سور القرآن الكريم المكية التي تتميز بأسلوبها القوي المؤثر والبياني، وتهدف إلى تثبيت العقيدة الإسلامية والتأكيد على وحدانية الله ونبذ الشرك، كما أشرنا سابقاً بأنّ الموضوعات تتحدث عن تسبيح الله وهذا يعزز مفهوم التوحيد وينفي الشرك[2].

وتحتوي على بشائر للمؤمنين بالجنة ونعيمها، وتعطي الأمل والثبات للمؤمنين بأنهم سيحصلون على الجزاء الحسن في الآخرة. بالتالي يكون الجو العام: يدور حول التذكير بالبعث والحساب والجزاء والعقاب، مما يعزز الإيمان ويقوي العزيمة لدى المؤمنين، أما مناسبة ارتباط مشهد إبراهيم مع ابنه بأجواء سورة الصافات، فيمكن بيانها كالآتي:

أولاً: القصة تظهر ابتلاء إبراهيم عليه السلام بأمر الله بذبح ابنه إسماعيل، ومدى صبره واستجابته لأمر الله دون تردد، كما يبرز صبر إسماعيل واستعداده لتحمل التضحية، وهذا الابتلاء يعكس معنى الإيمان والتوكل على الله في أصعب الظروف[3].

ثانياً: سورة الصافات تركز على أهمية الثقة في الله وتسليم الأمر له، سواء في مواجهة قوم معادٍ أو في تلبية أمر إلهي صعب، وإبراهيم عليه السلام يُظهر هذه الثقة العالية التي تؤدي في النهاية إلى إنقاذ ابنه بفداء عظيم[4].

---

[1] انظر: الزحيلي، **التفسير الوسيط** (3/ 2183).

[2] انظر: الطبري، **جامع البيان في تفسير القرآن** (493/19).

[3] انظر: **ابن كثير** (12،22/7).

[4] انظر: **الطبري** (75/21).

ثالثاً: قصة التضحية بإسماعيل فيها دلالة كبيرة في الإسلام، فهي تعلم المسلمين قيمة التضحية في سبيل الله، وكيف أنّ الله يكافئ من ضحى ويعوضه، والفداء بالذبح العظيم يصبح دلالة عظيمة للتضحية المقبولة والإخلاص في الإيمان[1].

رابعاً: التواصل مع السياق العام للسورة: سورة الصافات تُظهر في مجملها قصص الأنبياء الذين واجهوا تحديات عظيمة وصبروا على الدعوة، وقد كوفئوا بالنصر والهداية والنجاة، وقصة إبراهيم مع ابنه تتناسب تمامًا مع هذا السياق، حيث يُظهر الابتلاء والتضحية وكيف يُكافئ الله الصابرين[2].

[1] انظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن** (15/101-102).

[2] انظر: قطب، **في ظلال القرآن** (5/2981).

الفصل الخامس

مناسبة مشاهد المرحلة الرابعة من قصة إبراهيم عليه السلام والبيت الحرام في السور الواردة فيها

وهذه المرحلة بمشاهدها هي خاتمة حياة إبراهيم عليه السلام، وتسليم راية الدعوة لأبنائه إسماعيل وإسحاق، وهذه المرحلة تنقسم إلى مشهدين اثنين، المشهد الأول: بناء البيت وأعمال الحج، والمشهد الثاني: الدعاء في حضرة بيت الله الحرام له ولذريته، ولأمته وللأمم من بعده، وما تخلّل فيهما من ذكر لإسماعيل عليه السلام ومشاركته بناء الكعبة، وتكليف الله لهما بخدمة بيت الله الحرام، والعبادة فيه.

المبحث الأول: مناسبة "مشهد قصة إبراهيم عليه السلام وبناء البيت الحرام" في السور الواردة فيها

وردت الآيات المتعلقة بالمرحلة الرابعة من قصة إبراهيم عليه السلام في سورة البقرة والحج، وقبل الشروع ببيان مناسبة الآيات ومشاهدها مع السياق الوارد فيها، سيتم ذكر محور سورة البقرة؛ علماً أنّه تم ذِكر الموضوعات والمحور العام سابقاً، فالمحور العام لسورة البقرة يتحدث عن الموقف لبني إسرائيل من الدعوة الإسلامية في المدينة، وكيفيّة استقبالهم لها، وكيف واجهوا رسولنا الحبيب عليه أفضل الصاة وأتمّ التسليم، وكذلك للمؤمنين الناشئين على أساسها، وكذلك يتحدث عن موقف الجماعة المسلمة في إعداد ونشأة الجيل لحمل هم الدعوة[1].

وهذا المبحث فيه مطلبان: المطلب الأول: مناسبة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام في بناء البيت وعلاقتها بسياق سورة البقرة ومحورها، والمطلب الثاني: مناسبة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام في بناء البيت بسياق سورة الحج ومحورها.

[1] انظر: قطب، **في ظلال القرآن** (1/ 28).

المطلب الأول: مناسبة "مشهد قصة إبراهيم عليه السلام وبناء البيت" وعلاقتها بسياق سورة البقرة ومحورها

ورد هذا المشهد المتعلق ببناء بيت الله الحرام في سورة البقرة، وسورة الحج، وسورة آل عمران، وكل سورة اختصّت بما اختصّت به من بناء البيت، وخدمته، وجعل الله مقام إبراهيم مصلى.

الفرع الأول: علاقة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام وبناء البيت الحرام بسياق سورة البقرة

المسألة الأولى: آيات مشهد قصة إبراهيم عليه السلام في بناء البيت

موضوع السورة هو اختبار الله لإبراهيم واختياره إماماً للناس، وتكليفه ولده اسماعيل بخدمة البيت وتهيئته للعبادة، قال تعالى: ﴿۞ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤ وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ١٢٥﴾ [البقرة: 124-125].

تحدثت الآيات عن ابتلاء الله لإبراهيم، وتكليفه الأوامر والنواهي التي يظهر بها استحقاقه للإمامة، وجعل مقام إبراهيم وذريته الصالحين إماماً للناس، ومقام إبراهيم الذي عند الكعبة مصلى، وهذا البيت الحرام الذي قام الكفار بكل الأساليب الخبيثة ليبعدوا المؤمنين عنه حتى هاجروا من عنده، لكن الله أراده مكاناً يأتي إليه جميع الناس، من دون تخويف من أي أحد، فالبيت أمان وطمأنينة، وأُمر المسلمون أن يتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، ويشير مقام إبراهيم إلى البيت كله، فالأمر الطبيعي اتخاذ البيت قبلة للمسلمين، وهو أول قبلة يتوجه إليها المسلمون، وقد عهد الله تعالى إلى اثنين من عباده صالحين ليقوما بالطهيرة والإعداد لكل من يحج، ويصلي، ويعتكف فيه[1].

ورغّب القرآن الكريم قبيلة قريش وغيرها من أهل الكتاب بالإيمان برسالة نبيّنا صلّى الله عليه وسلم، وبين فضائل البيت الحرام حيث جعله الله مرجعاً لهم، ليبعدهم عن الكفر، فبين الله وقت الحج أي متى يجتمعون

[1] انظر: أبو حيان، محمد بن يوسف: **البحر المحيط في التفسير**، دار الفكر-بيروت، (1/ 607). البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** (2/ 152).

فيه، ومتى يتفرقون عنه، وجعله آمناً مطمئناً، وأمر سبحانه إبراهيم وإسماعيل أن يطهّر البيت من كل رجس لمن أراد الطواف به، والإقامة عنده، وكل من أرد الركوع والسجود فيه ، ومن ثم توجه إبراهيم عليه السلام بمناجاة الله ودعائه في أن يجعل مكة آمنة ومطمئنة، وأن يرزق أهله الثمرات الطيبة والخيرات الكثيرة، وإبراهيم عليه السلام كان على ملّة التوحيد الخالصة لله، وكذلك رسولنا الكريم كان قبل البعثة يتعبّد على نفس ملّة إبراهيم، و بأمر من الله عزّ وجلّ استمر بعد البعثة باتباع تلك الملّة[1].

المسألة الثانية: علاقة "مشهد إبراهيم عليه السلام وبناء البيت الحرام" بالآيات السابقة في سورة البقرة

تحدّث المشهد السابق لمشهد قصة إبراهيم عليه السلام وبناء البيت الحرام في سورة البقرة عن التذكير بنعمة الله والتخويف من الآخرة، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢٢ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ١٢٣﴾ [البقرة: 122-123].

"وهنا تبدأ السورة بالتذكير بنعمة الله والتحذير من الآخرة، مع توجيه الكلام لبني إسرائيل، وتفضيلهم على العالمين، ويحثهم على التقوى والاستعداد ليوم القيامة، بالتالي هذا فيه إحساس أن يستجيبوا لدعوة الله، من دون مكابرة"[2].

ويرى سيد قطب بأنّ النّص القرآني يناقش محاولات اليهود والنّصارى التأثير بادّعاءاتهم على المسلمين، حيث يقول: يُظهر النّص التحديات التي تواجه المسلمين في التمسك بعقيدتهم والتصدي لتأثيرات الآخرين، وبعد هذه الآيات بناء البيت الحرام ودور إبراهيم وإسماعيل في تقرير القبلة، حيث يأتي من خلال الآيات في قصة إبراهيم الحديث عن بناء الكعبة، ودور إبراهيم وإسماعيل في هذا البناء، لتأكيد حقّ المسلمين في التوجه إلى البيت الحرام في عبادتهم، ودحض ادعاءات اليهود والنصارى بشأن الأحقية الدينية، ومن ثم

[1] انظر: الزحيلي، **التفسير الوسيط** (1/ 60).

[2] ابن عاشور، **التحرير والتنوير** (1/ 699).

يأتي التأكيد على التوحيد الخالص في دين إبراهيم والتمييز بينه وبين عقائد أهل الكتاب والمشركين، وبذلك تكون الآيات قد أعادت النص على التأكيد على أن التوحيد هو جوهر دين إبراهيم، ويفصل بين عقيدته وعقائد أهل الكتاب والمشركين المشوهة، مما يظهر أهمية النقاء في العقيدة الإسلامية، ويذكر النّص وحدة دين الله واستمراريته عبر الأنبياء ويضرب بذلك مثال وهو سيدنا إبراهيم عليه السلام، فيؤكد أن دين الله مستمر عبر الأنبياء، وأن هذا الدين ليس حكرا على أمة، بل يبقى مستمراً، ثم يجيء الحديث عن إبراهيم وإسماعيل والبيت الحرام، لتقرير الحقائق حول ادعاءات اليهود والنصارى، وتحديد القبلة للمسلمين، وإثبات حقيقة دين إبراهيم وهو التوحيد الخالص، وذكر فضائل إبراهيم عليه السلام كموعظة للمشركين ولليهود، فتأتي قصة إبراهيم عليه السلام كموعظة للمشركين ولليهود، وتؤكد على ارتباط العرب بإبراهيم عليه السلام عبر حفظهم للبيت الحرام وتواصلهم مع الحنيفية[1].

ومن أوجه المناسبة أنّ قدرة الحق المشترك من كل الديانات إبراهيم عليه السلام، فكانت مناسبة ذكر منزلة إبراهيم و فضائله عند ربه ودعوته بعد ذكر أحوال بني إسرائيل، هي المقصد، فالمقصود من ذلك التذكير لبني إسرائيل بالنعم والتخويف، والتحريض على عدم المكابرة والحسد لنيل السعادة الأخروية، والإنصاف في تلقي الدعوة الإسلامية، والمقصود كذلك من ذكر قصة إبراهيم لموعظة للمشركين أولاً وبني إسرائيل تبعاً له، لأنّ العرب بالنسبة لإبراهيم أشد اختصاصاً من حيث الزيادة على نسبهم إليه بكونهم حفظة حرمه، وينتمون منذ القِدَم للحنيفية، ولم يطرأ عليهم دين يخالف الحنيفية بعكس أهل الكتابين[2].

ويتلخص لنا من المناسبة أنّه بعد الحديث عن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، والحديث عن البيت الحرام وبنائه وعمارته وشعائره في جوه المناسب؛ لتقرر الحقائق التي ليس فيها أي شك أو شبهة من الشبهات التي ادعاها المشركون واليهود والنصارى بالنسبة للنسب، وتقرير قضية القبلة التي ينبغي أن يتجه إليها المسلمون، وبعد التأكيد لهذه القضايا تأتي المناسبة؛ لتقرّر حقيقة أنَّ دين إبراهيم عليه السلام هو التوحيد الخالص، فيجيء الحديث بعدها عن العقائد المشبوهة التي عليها أهل الكتاب والمشركون.

---

[1] انظر: قطب، **في ظلال القرآن** (1/ 111-113).

[2] انظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير** (1/ 700).

المسألة الثالثة: علاقة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام وبناء البيت الحرام بالآيات اللاحقة في سورة البقرة

تتحدث الآيات اللاحقة عن الدعاء وطلب الأمن والرزق لأهل المؤمنين، وهو متمثل في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾ [البقرة: 126].

يتحدث سيد قطب في تفسيره للآيات السابقة عن علاقة دعاء إبراهيم عليه السلام بالمهمّة التي وكّل بها من الله عزّ وجل، فيقول: ودعاء إبراهيم امتداد لما وُكّل إليه من خدمة البيت الحرام، والعمل على تطهير البيت؛ ليأتي الدعاء بطلب بركة الأمن، ثم يأتي بمشهد تنفيذ الأمر الذي تلقاه إبراهيم واسماعيل يقوموا بالإعداد لهذا البيت، ويطهروه من أجل العاكفين والمصلين لله عزوجل، كما أنهما يقرران الوراثة لهذه الأمة المسلمة لإمامة إبراهيم، والوراثة للبيت الحرام كذلك، فهو البيت الذي يتجه إليه المسلمون، وهم أولى به من المشركين، وأولى من تكون القبلة لليهود والمسيحيين، وبعد ذلك استجاب الله دعاءهما، وأرسل من أهل البيت سولنا الحبيب محمد عليه الصلاة والسلام، وجعل الملايين ممن أسلموا على يديه فأصبحت أمة قائمة بأمر الله، ولقد كانت دعوة إبراهيم هذه من جوامع الكلم لهذه النبوءة فإن أمن البلاد يقتي العدل، فمن دون ذلك لا أمن ولا أمان، وكذلك الإقبال على ما ينفع والثروة فلا يحدث خلل في الأمن إلا إذا اختلت الثلاثة الأول وإذا اختل اختلت الثلاثة الأخيرة، وإنّما أراد بذلك التيسير للإقامة فيه على السكان، والتعزيز من الوسائل التي أرادها لتلك البلد كونها منبع الإسلام[1].

الفرع الثاني: علاقة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام وبناء االبيت الحرام مع الجو العام لسورة البقرة

إنّ فاتحة السورة في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة: 2] هي وصف دقيق وعام وشامل للقرآن المحكم الذي لا يتطرق إليه ريب أو شك، وكانت أجواؤها تحقيقاً صريحاً لهذا الوصف،

[1] قطب، **في ظلال القرآن** (1/ 114).

فلا تكاد تمُرُّ على محور من محاورها إلا وتعيش صدق هذا الكتاب وإحكام آياته وبيانه المعجز، تعيش أجواء الهداية، ومتطلبات التقوى وأوصاف المتقين.

والسورة تبدأ بالهداية، وتختم بالهداية، وقلبها كله هداية: أحكام إلهية، أوامر ونواهٍ، توجيه وتربية، أخلاق وسلوكيات، تشريعات وقوانين، بأساليب متنوّعة، منها المباشر ومنها غير المباشر، ثم تأتي على صفات هؤلاء المتقين.

ومما يلفتنا في أجواء السورة أنّ أخبار بني إسرائيل وعرض سلوكياتهم المنحرفة في تعاملهم مع ربهم ونبيهم تأتي سابقة للأحكام والشرائع والقوانين الإلهية المؤسِّسة للمجتمع الإسلامي، ويعود السبب في ذلك إلى ما تنطوي عليه قصص وأخبار هؤلاء القوم من دروس إيمانية وتربوية عميقة في كيفية التعامل مع الأمر الإلهي من تشريع وأحكام وقوانين، فهُمْ نموذج فريد لقوم جعلوا من أنفسهم نداً لله، فكانت أبرز سماتهم أنهم يعتبرون أنّ لله رأياً؛ وهو ما يأمر به عزّ وجل، ولهم رأي، وهو ما تمليه عليهم أهواؤهم، ورأيهم في الغالب أفضل من أمر الله، تعالى الله عما يظنّون، فكأنّ الله عز وجل يقول لنا من خلالهم: إن كان منكم ما كان منهم فانتظروا عاقبة كعاقبتهم.

فالجو العام لسورة البقرة هو سنّة الاستخلاف، فإبراهيم نموذج ناجح لخلافة الأرض وفق سنن الله، وبنو إسرائيل نموذج فاشل لخلافة هذه الأرض.

المطلب الثاني: مناسبة "مشهد قصة إبراهيم عليه السلام وبناء البيت الحرام" بسياق سورة الحج ومحورها العام

وردت الآيات المتعلقة بالمرحلة الرابعة من قصة إبراهيم عليه السلام في سورة الحج، وهي من السور التي ورد فيها مشهد إبراهيم عليه السلام والبيت الحرام، وقبل الشروع ببيان مناسبة الآيات ومشاهدها مع السياق الوارد فيها، لا بد من تقديم نبذة تعريفية عن سورة الحج، وبيان الموضوعات التي طرحتها السورة، وكيفية ترتيب مشهد قصة إبراهيم عليه السلام في بناء البيت، وبيان محور السورة وأجوائها.

الفرع الأول: بين يدي سورة الحج وموضوعاتها ومحورها العام:

أولاً: بين يدي سورة الحج

سورة الحج مكية[1]، وعدد آياتها 78 آية في الشامي وخمس في البصري وست في المدنيين وسبع في المكي[2]، وترتيبها في المصحف 22.

ثانياً: الموضوعات التي اشتملت عليها سورة الحج

أولاً: الآيات (1–7): الحديث عن يوم القيامة وأهواله، وبيان جدال المشركين، ثم الاستدلال بخلق الإنسان والنبات على وقوع البعث وإثبات قدرة الله ووحدانيته.

ثانياً: الآيات (8–24): بيان عاقبة كل من أشرك بالله وجادله، وبيان جزاء الموحدين في الآخرة، ثم بيان طبيعة القرآن، وخضوع المخلوقات لله تعالى، ثم جزاء الكافرين وجزاء المؤمنين.

ثالثاً: الآيات (25–37): بيّن الله في الآيات أنّ المشركين أبعدوا المؤمنين عن المسجد، وبعد ذلك أمر إبراهيم أن يؤذن بالحج، وبيّن لوجوب لتعظيم حرمات الله تعالى، وأباح الأنعام إلا ما استثناه الله، وذكر حكم التسمية عندما يتم الذبح.

رابعاً: الآيات (38–60): أذن الله للمؤمنين بقتال المشركين للدفاع عن المقدسات وحماية المستضعفين، وبشر الله المؤمنين بالنصر، وبين هلاك الأمم الذين كذبوا الرسل، وبعد ذلك بيَّن مهمة رسولنا الحبيب عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وعصمة الله تعالى له من أي فتنة من قبل الشياطين، وتحدث أيضاً عن فضل المهاجرين.

[1] انظر: السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن** (48/1).

[2] انظر: أبو عمرو الداني، **البيان في عد آي القرآن** (189).

خامساً: الآيات (61–78): العودة لذكر الأدلة على قدرة الله تعالى ووحدانيته، وأنّ لكل أمة شريعة، ثم كيفية محاجّة المشركين، ثم عرض بعض أباطيلهم وتحديهم بخلق ذبابة، والختام بوصايا للمؤمنين"[1].

ثالثاً: محور سورة الحج وجوها العام

محور سورة الحج:

عرضت سورة الحج موضوعات كالتوحيد، وإثبات البعث، وإنكار الشرك، ومشاهد القيامة، والتخويف من الساعة[2]، والجهاد في سبيل الله، فالعقيدة التي تحفظ الإنسان من الداخل، والشرائع هي التي تحافظ عليها، والجهاد هو الذي يحمي كل ذلك.

1. الجو العام لسورة الحج:

الجو العام للسورة هو: العنف، والقوة، والرهبة، والشدة، والترهيب واستجاشة مشاعر التقوى والاستسلام[3].

الفرع الثاني: علاقة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام وبناء البيت الحرام بسياق سورة الحج:

المسألة الأولى: آيات مشهد قصة إبراهيم عليه السلام وبناء البيت الحرام في سورة الحج:

تحدثت آيات مشهد قصة إبراهيم عليه السلام وبناء البيت الحرام في سورة الحج عن مكانة البيت في عبادة الحج، وما فيه من منافع، قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ

[1] ماضي، محمد السيد، **زوايا وخرائط سور القرآن، مكتبة التقوى**، دار العلم والمعرفة–القاهرة (1442هـ/2021م) (432/1).

[2] انظر: **في ظلال القرآن** (4/ 2406).

[3] انظر: قطب، **في ظلال القرآن** (4/ 2406).

بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ٢٨ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ٢٩﴾[الحج:26-29].

يفسّر سيد قطب الآيات مبيّناً علاقة البيت الحرام بالتوحيد ودور إبراهيم عليه السلام في ذلك، فيقول: والتوحيد منذ أول لحظة أقيم في البيت، فالله عزوجل عرّفه لإبراهيم عليه السلام ليقيمه على هذه الأساس، فهو بيت الله أنشأه لكل من يتوجه إلى العبادة فقط، ثم بعد ذلك أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام أن يؤذّن في الناس بالحج، ويدعوهم إلى بيت الله الحرام، ووعده أن يستجيب الناس له، فيأتون على هذا المكان الطاهر على أقدامهم، وركوبا من كل مكان، ووعد الله قائم إلى يومنا هذا، وكل ذلك لتلبية دعوة الله التي أذن بها إبراهيم عليه السلام منذ آلاف الأعوام، والمنافع التي يشهدها الحجاج كثيرة، فالحج لكل شيء، يلتقي فيها الناس، ويدمجون بين الدنيا، فأصحاب السلع والتجارة يجدون في موسم الحج سوقا رائجة، وكذلك هو موسم العبادة يستشعر فيها الإنسان القرب من الله في هذا المكان، وتصفو فيه الأرواح[1].

كما يبيّن الزحيلي أهداف الشارع من بناء إبراهيم عليه السلام للبيت الحرام، أنَّ إبراهيم بنى الكعبة، أو البيت بأمر من الله تعالى، وذلك له هدفان، الأول: إعلان وحدانية الله تعالى وإظهار التوحيد الخالص، والثاني: تطهير البيت من جميع الأصنام والأوثان، وكل مظاهر الكفر، كما قال تعالى: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾. [الحج 22/ 30]، والأصح أنّ الخطاب ليس لمحمد، وإنّما لإبراهيم عليه السلام، والإعلام بفريضة الحج، وهذا يدلنا على أنّ الحج كان مفروضاً منذ زمن إبراهيم عليه السلام، بالتالي فهي باقية لم تنسخ في عهد من جاء بعده من الأنبياء، والأوامر في ديننا تؤكد ذلك[2].

[1] انظر: قطب، **في ظلال القرآن** (4/ 2419).

[2] انظر: الزحيلي، **التفسير المنير** (17/ 197).

المسألة الثانية: علاقة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام وبناء البيت الحرام" بالآيات السابقة في سورة الحج

الآيات السابقة للمشهد فيها تحذير شديد بالعذاب الأليم لمن يصدون عن سبيل الله والبيت الحرام، وهذا متمثل في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ٢٥ ﴾. [الحج: 25].

يفسر القرطبي الآية السابقة بأنّ الذين كفروا بالله ورسوله هم بالإضافة مع كفرهم يمنعون المسلمين من دخول المسجد الحرام الذين هم أحقّ الناس به، مع أنّ المولى جعله لكافة المسلمين، ويستوي فيه كل النّاس، ومن يرد فيه أن يستقيم، أمّا الذي يريد أن يعصي الله، فيذيقه العذاب يوم القيامة، ومن خصوصية الحرم أنّه يعاقب حتى من فكّر بارتكاب الكائر حتى لو لم يفعله، وهذه بعض أمثلة الظلم، فالكفر والظلم يجمع جميع المعاصي من الكفر إلى الصغائر، فلعظم حرمة المكان توعد الله تعالى على نية السيئة فيه، ومن نوى سيئة، ولم يعملها، لم يحاسب عليها إلا في مكة، والخلاصة: أنّ الآية عامة تشمل كل أنواع المعصية، ويختصّ البيت بأنّ كل من هم فيه بخطيئة أنّه يعاقب حتى لو لم يفعلها، كما أنّ الله تعالى جعل الحرم منسكاً لكافة الناس[1].

ووجه المناسبة أنّ بيت الله الحرام إنما أقيم لأجل العبادة، ونبذ الشرك، وهو الأساس الذي بناه عليه إبراهيم عليه السلام، ودعوته التي نادى بها المؤمنين، وكل من تسوّل له نفسه خلاف ذلك هو مستحق العذاب.

وهو ما يبيّنه سيد قطب في قوله: ويتصل المقطع الثاني بنهاية المقطع الأول بالحديث عن الكفار الذين يبعدون الناس عن المسجد الحرام، ويستنكر فعلهم هذا فالله عزوجل جعله كافة للناس، وبهذه المناسبة يذكر جزءا من قصة البناء لهذا البيت، وأنه كلّف إبراهيم عليه السلام أن يقيم البيت على التوحيد، ويطهره من كل شرك، ويذكر أيضا بعضاً من الشعائر للحج وما وراء ذلك، وهدف ذلك مشاعر الصلاح التي في

[1] انظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن** (31/12).

القلوب، زفي نهاية ذلك يأذن للمؤمنين بالقتال لحماية العبادات والشعائر من أي عدوان يأتي على المؤمنين الصادقين، وما بعد ذلك يتحدث عن الكافرين الذين يصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام، وهم الذين كانوا يواجهون الدعوة الإسلامية في مكة، وبهذه المناسبة يتحدث عن تفويض الله إبراهيم عليه السلام في بنائه وأن يؤذن في الناس، والأساس الذي أقيم عليه ذلك المسجد، وكذلك كلّف إبراهيم أن يقيمه على التوحيد، وأن يجعله للناس جميعاً، وألا يتملكه أي شخص وأن يبعد الشرك عنه، وفي نهاية ذلك يأتي إلى أهمّيّة حماية المسجد الحرام من كل من تسوّل له نفسه ان يعتدي عليه ويظلم، ومن كل الذين يريدون أن يغيروا الأساس الذي قام عليه، ووعد الله بالنّصر لكل من نهض بالتكاليف التي تفرضها حماية العقيدة[1].

المسألة الثالثة: علاقة مشهد إبراهيم عليه السلام وبناء البيت الحرام بالآيات اللاحقة في سورة الحج

موضوع الآيات هو تعظيم حرمات الله وشعائره، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ۖ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ ۖ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾[الحج: 30-32].

ركزت الآيات على أنّ تعظيم شعائر الله تعالى مدعاة لترك الشرك والحرام، وقول الزور، ومحفز للوصول إلى تقوى القلوب؛ لذا أول من طبق هذه النظرية هو إبراهيم عليه السلام، فبنى بيت الله الحرام، وعظمه بالعبادة فيه.

ويبين الزحيلي المناسبة وعلاقة الآيات بما قبلها قائلاً: إنَّه بعد أن أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام أن ينادي للحج، بيَّن الثواب لتعظيم أوامر الله تعالى، ومنها: إباحة ذبح الأنعام وأكلها إلا ما حرمه الله، وكذلك مناسك الحج، وبعد ذلك نهى عن عبادة الأوثان، والكذب في أداء الشهادات، وحذر بإهلاك من يشرك

[1] انظر: قطب، **في ظلال القرآن** (4/ 2407).

بالله، ثم بيّن أنّه من علامات التقوى تعظيم الشعائر، وأنّ محلّ ذبحها هو الحرم المكي، وكذلك لكل جماعة مؤمنة ذبائح يتم التقرّب بها إلى المولى، فالكلام مرتبط بما قبله[1].

الفرع الثالث: علاقة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام وبناء البيت مع الجو العام لسورة الحج

إنّ محور وجوّ سورة الحج هو التوحيد، العبادة الخالصة لله، والاستجابة للأوامر الإلهية بصدق ويقين وثقة بالله، والتركيز على مناسك الحج، وبناء إبراهيم للكعبة له دور كبير في هاذا، فهو يؤسس البيت ليكون مكاناً مخصصاً لعبادة الله، وذلك يتناسب مع الجو العام الذي يدعو إلى عبادة الله ونبذ الشرك، والقوة والشدة والعنف والرهبة، والتحذير والترهيب والوجل والاستسلام، فالمشهد كذلك يبرز كيف تكون التضحية والاستسلام لأوامر الله، فإبراهيم عليه السلام لم يتردد في تنفيذ أمر الله عزّ وجل، وهذا أيضاً مناسب للسورة التي تدعو إلى الطاعة الكامل لله تعالى، بالتالي المشهد في بناء البيت هو عبارة عن علاقة تكاملية لغرس مفهوم التوحيد، والالتزام بأمر الله تعالى[2].

المطلب الثالث: مناسبة "مشهد قصة إبراهيم عليه السلام وبناء البيت الحرام" بسياق سورة آل عمران ومحورها العام

الفرع الأول: علاقة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام وبناء البيت الحرام في سورة آل عمران بالسياق:

المسألة الأولى: آيات مشهد قصة إبراهيم عليه السلام وبناء البيت الحرام في سورة آل عمران:

تتحدث آيات المشهد عن منزلة البيت الحرام ومقام إبراهيم عليه السلام وارتباطهما بفرضية الحج، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾[آل عمران: 96-97].

[1] انظر: الزحيلي، **التفسير المنير** (17/ 206).

[2] انظر: قطب، **في ظلال القرآن** (4/ 2406،2407).

إنّ البيت الحرام أول بيت وُضع للتعبد وقبلة المسلمين في الصلاة والدعاء، وهو أوّل بيت وضع لكي يتعبد الناس فيه، بناه إبراهيم وإسماعيل عليهما السّلام، فالبيت الحرام من ناحية زمانية أول بيت عبادة، وتأتي بعدها أولية المكانة، وذكرت الآيات عدة إيجابيات لهذا البيت، وهي: أنّه مبارك كثير الخيرات، مصدر هداية للنّاس، فيه آيات واضحات، ومن دخله كان آمناً، ويتجميع فيه الناس كافة، وجعل الحجّ واجباً على المستطيع المسلمين[1]. بالتالي يكون أول بيت وضع للناس للعبادة، ومن جحد بهذه المزايا فإن الله غني عنه، ولا تنفعه طاعة، ولا تضره معصية.

المسألة الثانية: علاقة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام وبناء البيت الحرام بالآيات السابقة في سورة آل عمران

تحدثت الآيات السابقة للمشهد عن تفنيد ادعاء بني إسرائيل بما حرّمه الله عليهم، وأنّه بما كسبت أيديهم، قال تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٩٣ فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٩٤ قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٩٥﴾ [آل عمران: 93-95].

هذه الآيات تتحدث عن اليهود، وتواجه خبثهم للمؤمنين الذين يسكنون في المدينة، وتنتهي إلى الحسم القاطع، حيث يتوجه الحديث إلى المؤمنين، يخاطبهم وحدهم، ويبين لهم منهجهم كما كان في سياق سورة البقرة بعد الانتهاء من الكلام عن بني إسرائيل، وتتشابه السورتان في هذا الحديث، كذلك في الآيات تقريراً للرد على بني إسرائيل، حيث إنّهم اعترضوا على إباحة القرآن لبعض ما كان محرماً عند اليهود من الطعام، فالله تعالى عاقبهم على بعض مخالفاتهم، فحرّم عليهم وحدهم هذه المحرّمات، ومن ثم يأتي الحديث عن تحذير المسلمين حتى لا يتبعوا أهل الكتاب، فمن فعل ذلك يكفر، وأثبت الجار في من قبل لأنّ تحريمه كان في بعض ذلك الزمان، لا مستغرقاً له، وعبر بالمضارع لأنه أدل على التجدد فقال أن

[1] انظر: الطبري، **جامع البيان** (16/ 517).

تنزل، وكان قد ترك لحوم الإبل وألبانها وكانت أحب الأطعمة إليه لله وإيثاراً لعباد[1]، ومن ثم كان واضحاً لهم أنّ ما يدعوهم إليه نبيّنا عليه الصّلاة والسلام هو من ملة إبراهيم، فكان عليهم اتّباعه عندما أباح لهم أكل لحوم الإبل وألبانها، وملته لا إفراط فيها ولا تفريط[2].

أما علاقة مشهد إبراهيم عليه السلام وبناء البيت الحرام في هذا المشهد فهو رد على اعتراض المشركين على تحويل القبلة، فاستغرق ذلك الموضوع مساحة واسعة في سورة البقرة من قبل، فيبين لهم أن الكعبة هي بيت إبراهيم، وهي أول بيت وضع للناس للعبادة في هذه الأرض، فالاعتراض عليه غير مقبول ممن يدّعون وراثة إبراهيم، وبعد هذا البيان يندد بأهل الكتاب لأنهم كفروا بآيات الله، وصدوا عن سبيل الله، ورفضوا الاستقامة، وهم يعرفون الحق ولا يجهلونه[3]، وكذلك لما ألزمهم سبحانه وتعالى بالدليل الذي دل على النسخ أنّهم على غير ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وأوجب عليهم اتباعها بعد بيان أنّها هي ما عليه محمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه، أخبر عن البيت الذي يستحق أن نتوجه إليه في الصلاة، فعابوه على أهل الإسلام أنه أعظم شعائر إبراهيم عليه الصلاة والسلام التي كفروا بتركها، ولذلك أبلغ في تأكيده فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ﴾ [آل عمران: 96].[4].

المسألة الثالثة: علاقة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام وبناء البيت الحرام بالآيات اللاحقة في سورة آل عمران

تتحدث الآيات اللاحقة للمشهد عن الإصرار الذي كان من أهل الكتاب على الكفر وصدهم عن سبيل الله، وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [آل عمران: 98-99].

---

[1] انظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** (5/ 3).

[2] انظر: المراغي، **تفسير المراغي** (6/4).

[3] انظر: قطب، **في ظلال القرآن** (432/1).

[4] انظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** (5/ 5).

يفسّر المراغي الآيات السابقة بكونها خطاباً لنبيّنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم للاستفسار من أهل الكتاب عن سبب كفرهم بنبوّته، وما يتعلّق بذلك من معاداة المؤمنين ونتائج كفرهم، فيقول: إنّ فيها خطاباً لنبيّنا أن يقول ما سبب كل هذا الكفر بآيات الله يا أهل الكتاب، وما هو الدليل على الرفض لهذا الدين؟ ولأي سبب يريدون أن يصرفوا المؤمنين عن الإيمان الذي يرقى بالعقل وينقي الروح بالأخلاق، ويرفع من مستوى الإنسان بالأعمال الصالحة؟ فيقول أنهم بهذا الموقف القائم على الكبر وإلقاء الشبهات الباطلة، يريدون الانحراف عن منهج الحق، وهم عارفون بصدق نبينا، وتقدم البشارة به، فغيّروا وبدّلوا في صفاته، لكن الله لا يغفل عما يفعلون فسيلقون أشد الجزاء[1].

ويبيّن النّسفي علاقة هذه الآيات بمشهد قصّة إبراهيم عليه السلام في بناء البيت قائلاً: إنّ علاقة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام في بناء البيت بهذه الآيات أنّه لما قالت اليهود للمسلمين قبلتنا قبل قبلتكم نزل ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾، [آل عمران: 96] الذي وضع الله تعالى ومعنى ذلك أنّه جعله للتعبد، فكأنه قال: الكعبة هي أول ما تعبّد إليه الناس[2]، وفي الحديث: أنّ أبا ذر سأل رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَوَّلِ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ «الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ» قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى» قُلْتُ: كَمْ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ عَامًا، ثُمَّ الْأَرْضُ لَكَ مَسْجِدٌ، فَحَيْثُمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ فَصَلِّ»[3].

وكذلك بعد أن تحدّث المولى عزوجل عن الأدلة لنبوة الرسول عليه الصلاة والسلام والاعتراض من قبل المشركين على ذلك، وإبطال الشبهات والمزاعم، خاطبهم بأهل الكتاب، ليدعوهم بأسبوب حسن إلى تغيير الموقف الذي اتخذوه من دعوة محمد صلّى الله عليه وسلّم وليؤمنوا برسالته، مع أنهم يعلمون جيدا مدى صدق نبينا[4].

---

[1] انظر: المراغي، تفسير المراغي (4/ 14).

[2] انظر: النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** (1/ 275).

[3] مسلم، صحيح مسلم، أخرجه علي بن حجر السعدي، قال: أخبرنا علي بن مسهر، حدثنا الأعمش، عن إبراهيم بن يزيد التيمي، كتاب المساجد ومواضع الصلاة (1/ 370).

[4] انظر: الزحيلي، **التفسير المنير** (4/ 22).

وبمعنى آخر: إنّ الشبهات التي أثاروها حول نبوة رسولنا الحبيب داحضة، ومنها الشبهة التي أثاروها حول القبلة، التي هي امتداد لشريعة إبراهيم عليه السلام، ولم يبقَ أمام أهل الكتاب إلا التسليم لأمر الله والإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

الفرع الثاني: علاقة مشهد إبراهيم عليه السلام وبناء البيت الحرام مع المحور العام لسورة آل عمران

اشتملت سورة آل عمران على الأدلة التي أقيمت على وحدانية الله، ونبوّة محمد صلّى الله عليه وسلّم، وإبطال كل ما يدّعيه أهل الكتاب، وجاءت هذه الآيات وما بعدها إلى الآية (97) حول البيت الحرام للرّد على شبهتين لليهود، هما:

الأولى: أنهم قالوا لنبيّنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم: أنه يدّعي أنّه على ملّة إبراهيم وذريته، فكيف بعد أن كان محرماً عنده سيحلّله مثل لحم الإبل، فنزلت آية: كُلُّ الطَّعامِ ترد عليهم.

الثانية: يقولون كيف يدّعي أنّه على منهج إبراهيم عليه السلام وأولى النّاس به، وإبراهيم وإسحاق والأنبياء من بعده كانوا يصلّون إلى بيت المقدس ويعظّمونه، فنزلت آية: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ ... لترد عليهم ما كانوا يختلقونه[1].

وفي هذا التقسيم نستطيع القول بأنّ المحور العام للسورة إقامة الأدلة والبراهين على الوحدانية والتشريع، ومشهد إبراهيم عليه السلام والبيت الحرام من الأدلة على وحدانية الله، فالبيت الحرام قائم على التوجه لله تعالى فقط، ثم القبلة التي حورب بها محمد هي قبلة إبراهيم عليه السلام.

[1] انظر: النيسابوري، علي بن أحمد: **أسباب النزول**، دار الإصلاح–الدمام، ط2، 1412هـ، (65– 66).

المبحث الثاني: مناسبة "مشهد قصة إبراهيم عليه السلام والدعاء لبيت الله الحرام وللبلد وللأمة" للسور الواردة فيها

المطلب الأول: مناسبة "مشهد قصة إبراهيم عليه السلام والدعاء" وعلاقتها بسياق سورة البقرة ومحورها العام

الفرع الأول: علاقة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام والدعاء بالسياق

المسألة الأولى: آيات مشهد قصة إبراهيم عليه السلام والدعاء في سورة البقرة

تحدثت آيات المشهد عن دعاء إبراهيم عليه السلام للبيت الحرام وله ولذريته ولأمة محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾. [البقرة: 126-129].

ففي هذا المشهد يتم التأكيد على صفة الأمن للبيت من قبل إبراهيم عليه السلام ، ومرة أخرى يؤكد معنى الوراثة للفضل والخير، فجو الدعاء حاضر، وهنا الأدب الذي كان من إبراهيم عليه السلام وهو يدعو الله وقيمة العقيدة التي استشعرها في هذه الدنيا، وكذلك القبول ورجاء العون من الله في الهداية إلى الإسلام، فالهم الأول لإبراهيم أمر العقيدة، فالذي جعل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام أن يدعوا الله ألا يحرم ذريتهما هو شعور إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بنعمة الإيمان، فهم دعوا الله أن يرزق ذريتهم رزقاً كثيراً، وكذلك لم ينسيا الدعاء ليوضح لهم العبادات، وأن يتوب عليهم، وبعثة رسول من ذرية إبراهيم

وإسماعيل، يتلو عليهم الآيات، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويطهرهم من الأرجاس والأدناس كانت استجابة لدعوة إبراهيم وإسماعيل هي بعثة هذا الرسول الكريم بعد قرون وقرون[1].

المسألة الثانية: علاقة مشهد إبراهيم عليه السلام والدعاء بما سبقه في سورة البقرة

تتحدث الآيات السابقة عن المحن التي تعرض لها إبراهيم عليه السّلام، وفضائل مكة، وخصائص البيت الحرام، وذلك في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [البقرة: 124-125].

يخاطب الشارع هنا محمداً عليه السلام ليذكر قومه الذين يعبدون غير الله، حيث امتحن الله إبراهيم ببعض الأمور، فأداها بأكمل وجه، وعامل الله إبراهيم معاملة المختبر، لإنّه عالم بصدقه، فجازاه الله خير الجزاء، وأظهر ذلك للخلق، فجعله إماماً للناس إماما يؤمهم في دينهم، ويقتدي به المؤمنون، فدعا الناس إلى نبذ الشرك ودعاهم كذلك إلى ملة التوحيد.

وآيات المشهد تعتبر التطبيق العمل والامتثال النبوي لما كلفه الله به من أعباء بناء البيت، والدعوة إلى تطهير البيت، إضافة إلى أنّ همّ المستقبل عند إبراهيم بارز عند دعوته للأمم القادمة وللأبناء الخاتمة لدعوة التوحيد.

ووجه المناسبة: أنّ الله سبحانه وتعالى عندما اختبر إبراهيم عليه السلام جعله إماماً للناس، وللمرسلين، ولأنّ إبراهيم عليه السلام التزم بهذا أكرمه الله عزّ وجل بأن جعل مقامه الذي كان يصلي فيه مصلى للناس، كما أنّ أهل الكتاب يرجع أصلهم إلى إبراهيم عن طريق إسحاق عليهما السلام وهم يعتزون بنسبتهم إليه، وبوعد الله له ولذريته بالنمو والبركة، وعهده معه ومع ذريته من بعده، ومن ثم يحتكرون لأنفسهم

[1] قطب، **في ظلال القرآن** (1/ 115،113).

الهدى والقوامة على الدين، كما يظنّون أنّ الجنّة لهم فقط مهما كانوا يفعلون، وترجع أصول قريش كذلك إلى إبراهيم عن طريق إسماعيل عليهما السلام، وتستمد منها القوامة على البيت وتعتز بنسبتها إليه، وبعمارة المسجد الحرام، كذلك جاء الحديث عن بني إسرائيل الذي هو امتداد بني إسرائيل[1].

المسألة الثالثة: علاقة مشهد إبراهيم عليه السلام والدعاء بالآيات اللاحقة في سورة البقرة

وبّخت الآيات اللاحقة كلّ من يرغب عن ملة إبراهيم، وينحرف عنها، ومدحت كل من اتبع هديه وأسلم وجهه إلى وجهة إبراهيم عليه السلام، وذلك متمثل في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾. [البقرة: 130-132].

تبيّن الآيات أنّ الله عزّ وجل أمر إبراهيم بالانقياد لأوامره، فأسرع إبراهيم بالطاعة التامة، وأسلم لربه، ثم أرادها إبراهيم عليه السلام لأولاده، فوصى بها بنيه، واصطفاء إبراهيم فجعله أبا الأنبياء، وهذه بشارة لإبراهيم بصلاح حاله في الآخرة[2].

أما علاقة مشهد الدعاء بهذا المشهد فبعد أن ذكر الله أنّه سلّم لإبراهيم عليه السلام ببناء البيت وتطهيره، وابتلى إبراهيم بكلمات، بين بعد ذلك أنّ إسلام القلب لله، وملة إبراهيم التوحيد، ولا يجوز لأحد أن يتغير عنها أو يبدلها، فوصى بها يعقوب ذريته، وإبراهيم من قبله[3].

---

[1] انظر: قطب، في ظلال القرآن (1/ 110).

[2] انظر: قطب، **في ظلال القرآن** (1/ 115).

[3] انظر: الزحيلي، **التفسير المنير** (1/ 317).

الفرع الثاني: علاقة مشهد إبراهيم عليه السلام والدعاء مع المحور العام لسورة البقرة والجو العام

إنّ مقصود الآيات هو: إقامة الدليل على أن كتاب الله هو الهدى، والإيمان بالغيب هو أعظم ما يهتدي الإنسان إليه، فالإيمان بالآخرة، والإيمان بالبعث هو المدار الذي تحدثت عنه قصة البقرة[1].

وجه المناسبة للجو العام لسورة البقرة حيث يغلب على السورة جو التعليم والتشريع، وهي سورة تأسيسية، تمهد للبناء المجتمع الإسلامي وفق منهج رباني، فالأمة مدعوة لأن تسير على خطى إبراهيم في الإيمان، وبناء المجتمع على أسس التقوى، لا مجرد الدعاء من دون عمل.

المطلب الثاني: مناسبة مشهد "قصة إبراهيم عليه السلام ودعاء إبراهيم في البيت الحرام" وعلاقتها بسياق سورة إبراهيم ومحورها العام

الفرع الأول: علاقة مشهد قصة إبراهيم عليه السلام والدعاء بسياق سورة إبراهيم

المسألة الأولى: آيات مشهد قصة إبراهيم عليه السلام ودعاؤه في سورة إبراهيم:

تجلت مناجاة إبراهيم عليه السلام في هذا المشهد لربه عزوجل في الدعاء لذريته ولأمة محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾. [إبراهيم: 35-41].

[1] انظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** (1/ 55). الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن** (17/17).

وفي هذه المشهد دعوة المولى لمحمد عليه الصلاة والسلام ليتذكّر إبراهيم وضع زوجه في منطقة لا ينبت فيها الزرع في الحجاز، ودعى الله أن يجمع الناس حولهما، ويرزقهم من الطيبات، وأن يحفظه هو وأولاده عن عبادة الأصنام، كما تحدث عن شكره لله على النعم، ومن ذلك رزقه بإسماعيل وإسحاق، حيث تكررت كلمة رب في هذا الدعاء لإبراهيم ثلاث مرات، لتدلّ على العجز أمام الله والصلة الخاصة به، وتكررت كلمة ربنا في هذه الآيات أربع مرات لتعظيم الله، وذلك كان تكريماً من الله بمكانة بيت الله، ووجوب تطهيرها من الأصنام، كانت الخاتمة طلب إجابة الدعاء والمغفرة لأهل الصلاح، فكان الدعاء من إبراهيم لجعل البد آمن ومستقر واستجاب الله له، كما أنه دعى أن تكون العبادة خالصة لله على منهج التوحيد، كما أنّه فيما بعد كان إخبار من إبراهيم أنه جعل بعض ذريته يسكنون عند البيت الحرام، لإقامة الصلاة، ومن ثم إظهار الحمد والشكر على إنعامه بولدين، وهما إسحاق وإسماعيل، ومن ثم التوفيق لإقامة الصلاة من إبراهيم ومن ذريته، ورداء إجابة الدعاء، وأخيراً طلب المغفرة له ولوالديه وللمؤمنين يوم الجزاء وهذا دليل المحبة لجميع أهل الإيمان[1].

وفي هذا الدعاء تعداد لنعم الله تعالى على إبراهيم عليه السلام من المسكن والذرية من جهة، ونعمة العبادة من ناحية أخرى، فكان الدعاء شكر أو ثناء الله لعباده.

المسألة الثانية: علاقة مشهد إبراهيم عليه السلام والدعاء بالآيات السابقة في سورة إبراهيم

تتحدث الآيات السابقة لمشهد دعاء إبراهيم عليه السلام عن الله تعالى خالق السماوات والأرض وتسخير الشمس والقمر، وأنّه المعطي بلا مقابل، ولا حدّ لذلك، فهو الله الخالق المنعم المعطي، وذلك متمثل في قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ

[1] انظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** (10/ 424).

لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾﴾. [إبراهيم: 32-34].

وتبيّن الآيات النعم التي أنعمها الله علينا من خلال بعض الدلائل الكونية، كما تقدّم بعضا من الأمور التي تستوجب شكر النعمة، حيث يقول الله أنّه هو الذي أنشأ السماوات والأرض وأنزل من السماء غيثاً، وسخر السفن ليركها الناس ويحملون أمتعتهم، فهو الذي يستحق العبادة وإخلاص الطاعة له، كما أنه سخر الشمس والقمر، لتتبدل بالليل والنهار لصلاح أنفسكم ومعاشكم، وأعطاكم مع ذلك من كل شيء سألتموه[1].

ومن أوجه المناسبة في علاقة مشهد الدعاء مع المشهد السابق أنّ الآيات في مشهد إبراهيم تتحدث عن الدعاء والطلب من الله، وطلب الهداية لأهل بيته وجعل ذريته متمسكين بالتوحيد، والمشهد هذا يتحدث عن فضل الله وشكره، وتسييره أمور الكون وكل هذه النعم التي لا تحصى، فبالتالي يكون الدعاء والطلب بعد التأمل في قدرة الله ونعمته، وذلك يعزز فكرة التوحيد، وكيف أنّ الإنسان يجب أن يعترف بفضل الله قبل أن يقوم بالدعاء، فإبراهيم عليه السلام بعد أن أدرك هذه النعم، طلب من الله الاستقامة له ولذريته، وهذا كله فيه ترابط بين النعم والدعاء، فالنعم تكون حافزاً لنا على الدعاء[2].

بالتالي نستطيع القول أنّ إبراهيم عليه السلام لم يركز فقط في الدعاء على الأمور المادية وإنما كذلك الأمور الروحية مثل الهداية والاستقامة، والثبات على العبادة، ودعاء إبراهيم عليه السلام بعد هذه الآيات هو رسالة لأمة القرآن أن تقابل الله الخالق المنعم المعطي بالدعاء والعبادة وحسن الطلب من الله تعالى.

المسألة الثالثة: علاقة مشهد إبراهيم عليه السلام والدعاء بالآيات اللاحقة في سورة إبراهيم

تحدثت الآيات التي جاءت على إثر دعاء إبراهيم عليه السلام عن اطّلاع الله عما يفعله الظالمون، فالله يمهلهم، ويعطيهم فرصة الرجوع، إضافة إلى أنّ خير قدوة لنا في ذلك هو إبراهيم عليه السلام، وأنّ هذا

[1] انظر: الطبري، **جامع البيان** (16/ 13). أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم** (49،50/5).

[2] انظر: قطب، **في ظلال القرآن** (2105/4). الزحيلي، التفسير المنير (261/13).

الكون الفسيح لهو خير دليل على صدق دعوى الأنبياء، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾. [إبراهيم: 42-46].

ويبين سيد قطب بأنّ هذه الآيات فيها وعيد للظالمين، وإيناس للمظلومين، وفيها أنّ الله مطّلع على أعمال الظالمين الكافرين، وهو يمهل ويؤخّر الحساب في الوقت المناسب، وهم مسرعين لا يملكون أي شيء من مما يشاهدونه من أهوال، هذا هو اليوم الذي يؤخرهم الله إليه، وبعد أن كانوا يكفرون بالله عزّ وجل أصبحوا يطلبون من الله أن يؤخرهم الله[1].

ويبيّن الزحيلي علاقة مشهد دعاء إبراهيم عليه السلام بهذه الآيات قائلاً: "كما قلنا سابقاً عن مشهد الدعاء أن إبراهيم عليه السلام يطلب من الله أمور، وكلها ترتبط بمستقبل من بعده، فدعى إبراهيم بتثبيت التوحيد، واختيار الأرض المباركة، وطلب الرزق، والتذكير بنعم الله، والحرص على استمرار العبادة في ذريته، وختم إبراهيم عليه السلام دعاءه بطلب المغفرة لنفسه ولوالديه وللمؤمنين، وهذا يدل على الارتباط بين الأسرة والمجتمع، فارتباطه بالمشهد الذي يليه انه تكملة لموضوع الدعاء، فيتحدث عن رد الله عزّ وجل وتصوير حال الظالمين، ففيها تأكيد على عدم غفلة الله عن أفعال الظالمين، بالتالي ندرك من ذلك أن الله لا يغفل عن كل فعل من أفعال العباد، وهذا يعزز من مفهوم العدالة والصبر على الابتلاء، كذلك يدعو المؤمنين إلى الثبات واليقين بموعد الله، ويبعث الطمأنينة أن الله يرد الحقوق إلى أصحابها، وأن الله يكافئ المؤمنين على تحمل الصاعب، وبعد أن ذُكِرت دلائل التوحيد، وحكى عن إبراهيم عليه السلام أنّه دعا ربه أن

[1] انظر: قطب، **في ظلال القرآن** (4/ 2112).

يعصمه من أن يعبد غير الله، وأن يوفقه لصالح الأعمال، وأن يشمله برحمته ومغفرته يوم القيامة، أورد سبحانه دليل على وقوع ذلك اليوم قول الله تعالى: "وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ" [إبراهيم: 42]، كما بين بعض صفاته وما فيه من أهوال[1].

ومن أوجه المناسبة أنّ الله هو المطّلع، وهو صاحب الوعد والوعيد، فالأنسب أن تأتي هذه الآيات بعد دعاء إبراهيم عليه السلام، فهو ممن ابتُلي بظلم أقرب الانس عليه، أبوه وقومه، فنجّاه الله منهم، ثم إنّ الحق واضح إما طريق الأنبياء، وإما طريق الظالمين الفاسدين.

الفرع الثاني: علاقة مشهد إبراهيم عليه السلام والدعاء مع المحور العام لسورة إبراهيم

إنّ محور سورة إبراهيم هو: "التوحيد والشكر على نعم الله والبعث والجزاء، فإبراهيم عليه السلام يحرص على الابتعاد عن الشرك وعبادة الأصنام، وهذا يناسب المحور الذي تدور عليه السورة، كذلك في محور السورة الشكرعلى نعم الله، وإبراهيم عليه السلام في الآيات يعبر عن امتنانه لله على النعم التي أنعم بها عليه وعلى ذريته، وأنها تزيد بالشكر، وبهذا يكون الشكر اعترافا بالنعمة، كذلك من المحاور الرئيسية في السورة الدعوة إلى الهداية والرسالة، وإبراهيم عليه السلام عليه السلام يدعو إلى إقامة الصلاة والارتباط بالله في حياتهم اليومية، وأنّ إبراهيم ينقل كذلك بدعائه الرسالة إلى ذريته، وهذا يتفق ع الرسالة العاملة للسورة التي تركز على دور الأنبياء في هاية البشر، وإرشادهم إلى الطريق المستقيم"[2].

بمعنى آخر فإنّ مشهد قصة إبراهيم ودعاؤه وطلبه من الله تعالى وعبادته لله، كلها جاءت بعد توحيد الله تعالى، وتجليه ذلك لقومه ودفاعه عنها، فهو النموذج الحي الذي جعل الفعل والقول في إطار إعلان الوحدانية ونبذ الشرك.

[1] انظر: الزحيلي، **التفسير المنير** (13/ 272). النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** (2/ 175).

[2] قطب، **في ظلال القرآن** (4/ 2110،2080،2077). البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** (10/ 369)

الخاتمة

نحمد الله عزوجل أن وصلنا إلى نهاية هذه الرسالة، ونقول أنّ هذا القرآن لا تنتهي عجائبه، ولا يمكن أن يحيط به علم، لذلك ما زال هذا العلم بحاجة إلى دراسات. وقد حاولت الباحثة من خلال دراستها أن تتوصل إلى بعض الأمور، وتجيب عن بعض التساؤلات التي تدور حول المناسبات الواردة في سرد قصة إبراهيم عليه السلام في معظم القرآن، وتوصلت إلى النتائج الآتية:

أولاً: أهم النتائج:

1. جاءت قصة إبراهيم في أربعة محاور، الأول: (من الرشد إلى اليقين)، وورد في سورة الأنبياء والأنعام، والثاني: إبراهيم مع أبيه وقومه، والثالث: (إبراهيم عليه السلام مع أهل بيته)، أما المحور الأخير فهو: إبراهيم عليه السلام والبيت الحرام.
2. إنّ المحور الثاني من الرشد إلى اليقين كان المرحلة الأولى، التي تأسست عليها كل المراحل الأخرى حسب تناولنا للموضوع.
3. إنّ محاورة إبراهيم لأبيه وردت في سورتي الأنعام ومريم، وفي ذلك ارتباط وثيق بموضوعي السورة، فموضوع سورة الأنعام تقرير عقيدة التوحيد وإبطال عقيدة الشرك، وموضوع سورة مريم التوحيد ونفي الولد والشريك وإثبات البعث، وذلك ناسب الحوار العقدي الذي دار بين الابن وأبيه.
4. إنّ موضوع الرشد إلى اليقين ناسب السور التي ذكر فيها، فهي تتحدث السور عن معالجة أمور العقيدة، التوحيد، والألوهية، ومجادلة المشركين بالله المكذبين لرسوله صلى الله عليه وسلم وهذا موضوع الرشد.
5. إنّ مرحلة إبراهيم عليه السلام مع قومه وردت في سورة الأنعام، التي من موضوعاتها مجادلة إبراهيم لقومه حول عبادتهم غير الله تعالى والأنبياء، وفي سورة الشعراء، التي من موضوعاتها التنديد بعبادة الأصنام وبيان صفات الرب المستحق للعبادة، والعنكبوت، ومن موضوعاتها كذلك: عرض الأدلة على الأصول الثلاثة: الوحدانية والرسالة والبعث، والصافات، ومن موضوعاتها: دعوة إبراهيم عليه

السلام لقومه وتحطيمه لأصنامهم، والزخرف، ومن موضوعاتها: براءة إبراهيم عليه السلام من عبادة قومه للأصنام، وهذا ناسب هذه المرحلة مع هذه الموضوعات.

6. إنّ ذِكرَ إبراهيم عليه السلام مع بيت الله الحرام والدعاء وأّمة محمد صلى الله عليه وسلم ورد في سورة البقرة، التي من موضوعاتها: اختبار الله لإبراهيم واختياره إماماً للناس، وتكليفه ولده اسماعيل بخدمة البيت وتهيئته للعبادة، وسورة الحج، ومن موضوعاتها: مكانة البيت في عبادة الحج، وما فيه من منافع، كما ورد في سورة آل عمران، ومن موضوعاتها: منزلة البيت الحرام ومقام إبراهيم عليه السلام وارتباطهما بفرضية الحج.
7. إنّ في إيراد المراحل التي مرّ بها إبراهيم عليه السلام مواساة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما واجهه مع قومه، ومع أبيه، والشرائع التي نزلت على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.
8. تعدّ قصة إبراهيم في السور الواردة فيها بمثابة الإعداد، ومن ثم العمل وما سيواجه الداعية من تحديات، وما سيقدمه من تضحيات، حتى يأتي فرج الله تعالى وإعلاء كلمته.
9. يمثل التوحيد بكافة أركانه المحور الذي برز في قصة إبراهيم عليه السلام وموضوع السور الواردة فيها.
10. يعد دعاء الأنبياء الشعلة التي تنير درب الدعاة والمجاهدين والعاملين لهذا الدين، وما دعاء إبراهيم عليه السلام الخالد في سورة البقرة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم وللبيت الحرام إلا النموذج الحي الذي تستمد من الأمة دربها ووقودها.

ثانياً: أهم التوصيات

أوصي الدارسين المهتمين بدراسة مناسبات القصص القرآني أن يعمدوا على توسعة الدراسة التي بدأت بها، وذلك من خلال:

1. دراسة كافة الأساليب المستخدمة في سرد قصة إبراهيم عليه السلام ومناسبته في السياق الوارد فيه.
2. دراسة مشاهد القصص القرآنية كل على حدة، على منوال دراستي، فهذا العلم يحتاج إلى مزيد من الدراسات التي تُظهر أنّ هذا القرآن لا تنتهي عجائبه.
3. دراسة الفاصلة القرآنية في قصة إبراهيم ومناسبتها للسور التي وردت فيها.

تم بحمد الله وفضله

المصادر والمراجع

إبراهيم، مصطفى وآخرون (بلا سنة). المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة.

ابن عاشو، الطاهر (1984). التحرير والتنوير. بلا طبعة، دار سحنون للنشر، تونس.

ابن كثير، أبو الفداء (1408). البداية والنهاية. ط1، إحياء التراث.

ابن كثير، أبو الفداء (1420). تفسير القرآن العظيم. ط2، دار طيبة للنشر والتوزيع.

ابن كثير، إسماعيل الدمشقي (1420). قصص الأنبياء. ط1، دار التأليف، القاهرة.

ابن منظور، محمد (1414). لسان العرب. ط3، دار صادر بيروت.

أبو السعود (بلا سنة). إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. بلا ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت

الآلوسي، شهاب الدين محمود (1415). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ط1 دار الكتب العلمية، بيروت.

الأندلسي، ابن الفرس (1427). أحكام القرآن. ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

الأندلسي، أبو حيان (1420). البحر المحيط في التفسير. بلا ط، دار الفكر، بيروت.

البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر دار طوق النجاة، ط1ى، 1422هـ

البخاري، محمد (1422). الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح البخاري). ط. دار طوق النجاة، السلطانية، المدينة المنورة.

البدوي، أحمد عبد الله البيلي (2005). من بلاغة القرآن. بلا ط، نهضه مصر، القاهرة.

البغوي، بن مسعود (1997). معالم التنزيل في تفسير القرآن. (ط4، دار طيبة للنشر والتوزيع).

البقاعي، برهان الدين (1408). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. بلا ط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

بكري، شيخ أمين (1973). التعبير الفني في القرآن. ط1، دار الشروق، بيروت.

البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد (1418). أنوار التنزيل وأسرار التأويل. ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

جعفر، شرف الدين (1420). الموسوعة القرآنية خصائص السور. ط1، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت.

الجوزية، ابن قيم (1416). مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. ط3، دار الكتاب العربي، بيروت.

حوى، سعيد (1424). الأساس في التفسير. ط6، دار الإسلام.

الداني، أبو عمر عثمان (1414). البيان في عد آي القرآن). ط1، مركز المخطوطات، الكويت.

الداني، أبو عمرو (1414). البيان في عد آي القرآن. ط1، مركز المخطوطات والتراث، الكويت.

الدقور، سليمان محمد، القصص القرآني أهدافه وخصائصه ومنهجه، الفضيلة للنشر والتوزيع، ط1 2007م

الرازي، محمد (1420). مفاتيح الغيب، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

رتيمة، محمد العيد (1993). دراسة لغوية لمفهوم الآية في القرآن. بلا ط، جامعة الجزائر، معهد اللغة، الجزائر.

رضا، محمد رشيد (1990). تفسير المنار. بلا ط، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة.

رمضان، هاني اسماعيل (2020). المقاصد القرآنية للسرد القصصي في القرآن الكريم دراسة تأصيلية. عدد1، كلية العلوم الإسلامية لجامعة كرسون التركية.

الزبيدي، محمد (1431). تاج العروس من جواهر القاموس. بلا ط، دار الهداية.

الزحيلي، وهبة (1414). التفسير المنير. ط1، دا الفكر، دمشق سوريا.

الزحيلي، وهبة (1422). التفسير الوسيط. ط1، دار الفكر دمشق.

الزركشي، بدر الدين (1376). البرهان في علوم القرآن. ط1، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه.

الزمخشري، جار الله (1407). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. ط3، دار الكتاب العربي، بيروت.

السامرائي، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري. أسرار البيان في التعبير القرآني. بلا ط. محاضرة مفرغة.

السامرائي، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري. لمسات بيانية في نصوص من التنزيل. ط9، دار عمار.

السعدي، عبد الرحمن (2000). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. ط1، مؤسسة الرسالة.

السعدي، عبد الرحمن تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن. ط1، السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف.

السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (بلا سنة). بحر العلوم. بلا ط.

السيوطي، جلال الدين (1374). الإتقان في علوم القرآن. بلا ط، الهيئة المصرية العامة للكتب.

السيوطي، جلال الدين (1394). الاتقان في علوم القرآن. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

السيوطي، جلال الدين (1978). أسرار ترتيب القرآن. ط2، دار الفضيلة للنشر والتوزيع.

السيوطي، جلال الدين (1988). معترك الأقران في إعجاز القرآن. ط1، دار الكتب العلمية–بيروت.

السيوطي، جلال الدين (بلا سنة). تناسق الدرر في تناسب السور. بلا ط، دار الكتب العلمية، بيروت.

الشرقاوي، أحمد (1425). موقف الشوكاني في تفسيره من المناسبات. بلا ط، الهيئة المصرية العامة للكتب.

الشوكاني، محمد بن علي (1414). فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. ط1، دار ابن كثير–دمشق.

الصوفي، أبو العباس (1419). البحر المديد في تفسير القرآن المجيد. بلا ط، حسن عباس زكي، القاهرة.

الطبري، أبو جعفر (2001). جامع البيان في تأويل القرآن. ط1، مؤسسة الرسالة.

الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن.

طنطاوي، محمد سيد (بلا سنة). التفسير الوسيط للقرآن الكريم. ط1، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة.

العاني، عبد القادر بن ملّا (1382). بيان المعاني. ط1، مطبعة الترقي، دمشق.

عباس، فضل حسن: التفسير والمفسرون، دار النفائس للنشر والتوزيع، ط1 (1437هـ-2016).

عجيبة، الحسني أبو العباس (1419). البحر المديد في تفسير القرآن المجيد. بلا ط، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة.

العلوي، محمد الأمين (1421). تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن. ط1، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان.

عنتر، نور الدين ضياء الدين. علم المناسبات وأهميته في تفسير القرآن الكريم، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية. بحوث ومقالات.

الغرناطي، (1990). البرهان فى تناسب سور القرآن. بلا ط، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

الغرناطي، أبو جعفر (1410) البرهان فى تناسب سور القرآن. بلا ط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب.

قبة الديباج. أرشيف منتدى الفصيح – تأملات في قصة إبراهيم عليه السلام سورة مريم.

القرطبي، محمد (1964). الجامع لأحكام القرآن. ط2 دار الكتب المصرية، القاهرة.

القرطبي، محمد (2006). جامع البيان في تفسير القرآن.

القزويني، ابن فارس (1979). معجم مقاييس اللغة. بلا ط، دار الفكر.

القطان، مناع (2000). مباحث في علوم القرآن. ط3، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

قطب، سيد (2003). في ظلال القرآن، ط32، دار الشروق القاهرة.

قطب، سيد. (2004) التصوير الفني في القرآن الكريم، ط1، دار الشروق– القاهرة،

القِنَّوجي، أبو الطيب (1412). فتح البيان في مقاصد القرآن. بلا ط، المَكتبة العصريَّة صيدا، بَيروت.

القيعي، حمد عبد المنعم (1417). الأصلان في علوم القرآن. ط4.

الماتريدي، أبو منصور محمد (1426). تأويلات أهل السنة، ط 1، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان.

ماضي، محمد السيد (1442). زوايا وخرائط سور القرآن الكريم. بلا ط، دار العلم والمعرفة، مكتبة التقوى.

المحامي، محمد. قصص من القرآن الكريم، (المكتب العالمي–بيروت).

محمد، توفيق محمد سعد، التناسب القرآني عند البقاعي، "مقالة" مجلة الفيصل، العدد 80، تشرين الثاني

المراغي، أحمد (1946). تفسير المراغي. ط1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. دارإحياء التراث العربي، بيروت.

مسلم، مصطفى (1426). مباحث في التفسير الموضوعي. ط4، دار القلم.

مشاهرة، مشهور موسى (2001). التناسب القرآني عند الإمام البقاعي دراسة بلاغية، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية.

المطعني، عبد العظيم (1413). خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية. ط1، مكتبة وهبة.

النحاس، أبو جعفر أحمد (1409). معاني القرآن. ط1، جامعة أم القرى، مكة المرمة.

النسفي، أبو البركات (1998). مدارك التنزيل وحقائق التأويل. ط1، دار الكلم الطيب، بيروت.

النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي (1412). أسباب النزول. ط2، دار الإصلاح، الدمام.

الهروي، أبو عبيد القاسم (1404). غريب الحديث. ط1، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة.

الواحدي، أبو الحسن علي (1415). التفسير الوسيط في تفسير القرآن المجيد. ط1، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.

An-Najah National University

Faculty of Graduate Studies

ON THE OCCASION OF PROPHET IBRAHIM (PEACE BE UPON HIM) AND THE ASSOCIATED VERSE

By

Zohdiyah Abdulwahab Sayed Ahmad

Supervisor

Dr. Mohammad Ragheb Al Jaytan

This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Fundamentals of Religion, Faculty of Graduate Studies, An-Najah National University, Nablus - Palestine.

2025

ON THE OCCASION OF PROPHET IBRAHIM (PEACE BE UPON HIM) AND THE ASSOCIATED VERSE

By

Zohdiyah Abdulwahab Sayed Ahmad

Superviseor

Dr. Mohammad Ragheb Al-Jaytan

Abstract

This study seeks to investigate the significance of the episodes from the narrative of Prophet Abraham (PBUH) within the chapters in which they occur, considering their relationship to both the preceding and subsequent verses, as well as their connection to the central theme and overall tone of each chapter. This investigation is conducted through inductive and analytical methodologies. The study is organized into five chapters: the first chapter provides an introduction to the primary concepts; the second chapter examines the relevance of the initial stage of Abraham's life (from guidance to certainty) as depicted in the chapters where it is referenced.

The third chapter concentrates on the significance of the second stage, which encompasses Abraham's interactions with his father and his community. The fourth chapter analyzes the third stage, focusing on Abraham's relationships with his family. The fifth chapter explores the importance of the fourth stage, specifically Abraham's association with the Sacred House, as depicted in the relevant chapters.

The life of Abraham (PBUH) can be delineated into four distinct stages, the foundational stage being his journey from guidance to certainty, upon which the subsequent stages are constructed. These stages and their associated episodes correspond closely with the chapters in which they appear. For example, Abraham's dialogue with his father is depicted in both Surah Al-An'am (The Cattle) and Maryam (Mary), with the narrative in each case aligning precisely with the central themes of the respective chapters.

Al-An'am underscores the doctrine of monotheism and the repudiation of polytheism, whereas Maryam affirms the oneness of God, denies the existence of offspring or partners, and confirms the resurrection. Consequently, the theological dialogue between

son and father is particularly appropriate. Furthermore, the narrative of Abraham (peace be upon him), through its various stages, provides solace to the Messenger of Allah (peace and blessings be upon him) in his interactions with his people and his own father.

This narrative also serves as a paradigm for the preparation of preachers, shaping their mission, enhancing their readiness to face challenges, and fostering the sacrifices they are expected to make until divine relief is granted and God's word prevails. Monotheism, in all its facets, constitutes the central theme of Abraham's story and the chapters in which it is featured. Moreover, the prophets' prayers function as guiding beacons that illuminate the path for preachers, strivers, and adherents of this faith. Abraham's enduring supplication in al-Baqara (The Cow), directed towards the nation of Muhammad (peace and blessings be upon him) and the Sacred House, exemplifies a source of ongoing inspiration and strength for the Muslim community.

Keywords: Prophet Abraham; Qur'anic narrative; monotheism; Surah Al-An'am; Surah Maryam; prophetic supplications.